حلم طنجار

مدينه الظلام

(محمد فكري)

سماء صافية، وشمس تسللت خيوطها عبر النافذة الصغيرة لغرفة داليا لتلامس وجهها الملائكي النائم في هدوء، أصدر المنبه صوتا عاليا جعلها تفتح عينيها العسلية الواسعة ثم قامت بالضغط عليه لتسكته قبل أن تعتدل من نومها وتنهض، لتجد والدتها قد أعدت لها الفطور ارتدت ملابسها سريعا ثم جلست على السفرة لتتناول الافطار مع والدتها التى تعيش معها بمفردهما بعد وفاة والدها منذ ما يقارب الخمس سنوات.

أنهت داليا فطورها سريعا ثم غادرت مسرعة قبل أن تفوتها الحافلة التي تنقلها يوميا إلى الجريدة التي تعمل بها.

داليا

هي فتاة في السادسة والعشرين من عمرها، بيضاء ذات جسد متناسق ووجه ملائكي جميل لا تخلو الابتسامة منه، تعمل صحافية بجريدة صغيرة منذ ستة أشهر، تتميز بالجدية البالغة في عملها؛ فهي تعتبر من أنشط العاملين بتلك الجريدة وبرغم قصر مدة عملها بالجريدة إلا أنها تتمتع بحب كل العاملين بالجريدة نظرا لروحها المرحة دوما وابتسامتها التي لا تفارق وجهها، ويشهد الجميع لها بكفائتها في عملها.

وصلت داليا إلى مكتبها ثم جلست وأخرجت بعض الأوراق المكتوبة بخط يدها وبدأت تتصفحها قبل أن تجد باب المكتب يُفتح ثم يدخل عم حسن الساعي يحمل فنجانا من القهوة ويقول بوجه مبتسم: صباح الخير آنسة داليا تفضلي قهوتك ثم وضعها بجوارها على المكتب.

فردت عليه: شكرا ياعم حسن ثم غادر.

بعدها بدأت تقرأ الورق التي أخرجته من حقيبتها وتعدل فيه بعض الكلمات بينما تحتسى قهوتها، ثم أخذت الورق ونهضت متجهة إلى مكتب رئيس تحرير الجريدة السيد كمال .

طرقت باب مكتبه، ثم دخلت وقالت مبتسمة: صباح الخير ثم أردفت، المقال الذي طلبته مني جاهز الآن فرفع عينه ونظر إليها وكأنه لم يعيرها انتباه لما قالته ثم قال :هل سمعتِ شيئ عما حدث لفوزي غنيم وزيرالموارد المائية والري السابق
فأجابته نافية فقال: فوزي غنيم تم العثور عليه مقتولا في شقة ليلة أمس وأعتقد أن هناك لغز ما وراء مقتله، فمنذ فترة قصيرة صرح فوزي غنيم بأنه على وشك أن يفاجئ العالم باكتشاف يكاد يكون هو الاكتشاف الأعظم في القرن الحادي والعشرين، بدى الحماس ظاهرا على وجه داليا ثم قالت : فهمت تريدني أن أغطي هذا الحدث وأبحث إن كان هناك صلة بين مقتل الوزير السابق مجدي غنيم وبين الاكتشاف الذي كان على وشك أن يظهره.

فرد السيد كمال قائلا: ليس هذا فقط ما أريده منكِ أريدكِ أن تعرفي كل شيئ بخصوص مقتله وما نوعية هذا الاكتشاف؛ وتأتيني بكل المعلومات التي تجمعيها مهما كانت صغيرة
ردت داليا في حماس: حسنا سأبذل قصار جهدي حتى أحصل على أكبر كم من المعلومات وكادت تخرج لولا أن استوقفها السيد كمال قائلا: داليا في الغالب يحصل المرء على فرصة واحده في حياته ليستطيع من خلالها اثبات ذاته فإما أن يحسن استغلالها وإما أن يتركها تمر دون الاستفادة منها ويظل بقية

عمره نادما على ضياع تلك الفرصة وبالطبع لست بحاجة لأذكرك بأن تلك هي فرصتك وربما لن تأتيكِ فرصة أخرى لهذا عليكِ أن تحسني استغلالها جيدا حتى تستطيعين تغيير مسار حياتك و مسيرتك الصحافية وحفر اسمك وسط كبار الصحافيين.

أومأت داليا برأسها وقالت: فهمت، ثم خرجت من مكتب السيد كمال متجهة إلى مكتبها وبدأت بالبحث عن فوزي غنيم عبر الانترنت وجمعت قدرا لا بأس به من المعلومات بعدها اتجهت إلى مكان الحادث الذي هو عبارة عن ڤيلا في أحد أحياء القاهرة لتبدأ تحقيقها.

وصلت إلى مكان الحادث، هي تعلم أنها بدأت التحقيق في القضية متأخرا فالحادث تم ليلة أمس ولابد أن الجثة قد تم نقلها إلى المشرحة وأن الڤيلا صارت مسرحا للجريمة ولن يُسمح لأحد بالدخول إليها ولكنها لم تأتِ من أجل محاولة التقاط صورا للجثة ولا هي مهتمة بحادث القتل من الأساس، هى مهتمة فقط بجمع معلومات عن الاكتشاف الذي كان القتيل على وشك الافصاح عنه، ولسوء حظها لم تستطع الدخول إلى مكان الحادث حيث كان رجال الشرطة مازالو يحيطون بالمكان، حاولت جاهدة أن تحصل على أية معلومة من أي شخص ولكن بائت كل محاولاتها بالفشل إلا أنها فضلت الانتظار أمام الڤيلا

وأبت أن تعود أدراجها دون أن تحصل على ما أتت من أجله، فكما أخبرتكم من قبل هي فتاة جادة جدا في عملها كما أنها عنيدة بعض الشيء.

ظلت جالسة أمام الڤيلا لأكثر من ساعتين إلى أن أبصرت بعينيها رجلا مسن يرتدي جلباب ويلف رأسه بعمامة بيضاء يخرج من الڤيلا فتبعته سريعا، ثم حاولت إيقافه لتسأله القليل من الأسئلة التي ربما قد تجد أجوبتها عنده، وبالفعل استطاعت الحصول على موافقته ولحسن حظها كان هذا الرجل المسن هو عم زين حارس الڤيلا التي وقع بها الحادث،
انفرجت أسارير داليا بعد أن علمت أن هذا الشخص الواقف أمامها الآن هو حارس الڤيلا التي وقع بها الحادث، فهي لم تكن تتوقع أن تحصل على فرصة أفضل من تلك، كان هذا يفوق كل تصوراتها لتبدأ التحقيق معه على الفور.

طلبت منه داليا أن يحكي لها عن كل ما يعرفه بخصوص الحادث فبدأ عم زين في سرد القصة منذ البداية فقال لها: السيد فوزي كان رجلا مسالما شديد الإحترام يعيش وحده بتلك الڤيلا فقد توفت زوجته وابنته منذ أكثر من عامين في حادث سير، كان يعاملني معاملة حسنة....
بدأ الأمر في الليلة التي صرح فيها السيد فوزي في أحد البرامج التلفيزيونية عن أنه سيعلن عما قريب عن اكتشافه الكبير، ليلتها

أتى شاب إلى القيلا وطلب مني مقابلته، وقال لي أنه يعرف السيد فوزي فأدخلته بعد أن أكد لي السيد فوزي أنه يعرفه أيضا وطلب مني أن أعد لهما القهوة؛ ولكني حين دلفت لأقدم لهم القهوة التي أعددتها وجدت الحوار بينهما قد اشتد وبدأ الصوت يعلو تدريجيا كما أنهما بدئا بالقاء التهم على بعضهم إلى أن نهض السيد فوزي من مجلسه وقال للشاب بنبرة حادة: اخرج من هنا ولا تعد مجددا.

وقتها تبدلت ملامح الشاب وقال له: ولكن تذكر أنك من خنت صديق عمرك وتريد أن تنسب لنفسك شيئ ليس لك أقسم أني لن أتركك تفعل هذا.

فقاطعته داليا قائلة: هل كان هذا الشاب يتحدث معه بخصوص الاكتشاف؟

فأجابها عم زين بأنه لا يعلم ثم تابع قائلا: ولكن في الليلة التي سبقت مقتل أستاذ فوزي أتى هذا الشاب مجددا إلى القيلا ولكني رفضت أن أدخله إلا انه دفعني بقوة ثم دخل إلى القيلا وحين تبعته إلى الداخل كان السيد فوزي قد هبط من الطابق العلوي للقيلا بعد أن سمع الجلبة الآتية من الخارج فقال له: ماذا تريد ألم أخبرك بأن لا تعد هنا مرة أخرى؟

فأجابه الشاب قائلا: جئت لأحذرك للمرة الأخيرة، أنا لا أريد منك أكثر من حق والدي.

فأجابه السيد فوزي قائلا: أخبرتك من قبل أنى لا أعرف شيئا مما تتحدث عنه.

فقال مهددا إياه: اسمعني جيدا؛ إن لم أصبح شريكا في هذا الاكتشاف سيكون المقابل حياتك.

ظهر القلق على وجه السيد فوزي ولكن سرعان ما تمالك نفسه مرة أخرى وقام بطرده خارج الڤيلا، وفي الليلة التالية حدثت الجريمة.

بعدها سألته داليا إن كان يعلم شيئ آخر فأجابها بالنفي قبل أن يخبرها أن عليه الذهاب للقاء شخص ما ينتظره، فشكرته داليا وأعطته رقم هاتفها وطلبت منه أن يتواصل معها إن علم أي شيء يخص تلك القضية أو الاكتشاف، ثم عادت إلى الجريدة مرة أخرى وجلست على مكتبها، وكعادتها إن أرادت أن تفكر أو تستنتج شيء تخرج أوراقها البيضاء وتبدأ برسم الدوائر وربط كل حدث بالآخر إلى أن تتوصل لأقرب استنتاج ممكن، فأخرجت عدة وريقات بيضاء وبدأت تكتب في الورقة الأولى

فوزي غنيم وأحاطت الاسم بدائرة، ثم كتبت أسفل تلك الدائرة بعض الملاحظات المهمة عنه؛ والتي كان منها أنه وزير الموارد المائية والري السابق في الثالثة والستين من عمره، أجرى حوار تلفزيوني صرح فيه أنه على وشك تقديم اكتشاف كبير خلال الفترة القادمة أما الورقة الثانية فكتبت عليها اكتشاف عظيم وأحاطته بدائرة ثم حدثت نفسها قائلة "أي شيء هذا الذي قد يكتشفه وزير موارد مائية وري سابق؟ "

ثم رسمت دائرتان أسفل تلك الدائرة وحدثت نفسها بصوت عالٍ وقالت: ربما أثناء بحثه عن المياه الجوفية في الصحراء قد وجد مقبرة فرعونية فكتبت في الدائرة الأولى مقبرة فرعونية، وفي الثانية وضعت علامة استفهام، ثم كتبت في الورقة الثالثة شاب غريب وأحاطته بدائرة ثم رسمت أسفل الدائرة دائرتان وكتبت في الأولى تهديد، وفي الثانية له علاقة بالاكتشاف، وبدأت تحاول أن تربط الأحداث ببعضها إلى أن مر الوقت سريعا وانتهى وقت عملها فنهضت من مجلسها وغادرت المكتب سريعا بعد أن تذكرت أنها على موعد مع عامر حبيبها والتي كانت قد وعدته أنها ستتناول معه الغداء في إحدى المطاعم بعد أن تنتهي من عملها.

عامر

هو شاب في السابعة والعشرين من عمره طويل القامة له عينين بنيتين تستطيع القول بأنه وسيم بعض الشيء تخرج من كلية العلوم بعد أن تخصص في دراسة الكيمياء، يعمل بإحدى شركات الكيماويات في القاهرة تعرف على داليا منذ أن كان عمره ثلاث عشرة عام حين انتقل هو وأسرته للعيش ببيت جديد، وكانت داليا تقطن بالبيت المقابل لبيته مع أسرتها، مع الوقت نشأت بينهما صداقة توطدت بعد أن اكتشف أنها معه بنفس المدرسة التي يدرس بها وتحولت تلك الصداقة بعد أكثر من ثلاث سنوات إلى حب ما يزال قائما إلى الآن.

انطلقت داليا إلى المطعم وبالفعل وجدت عامر ينتظرها كعادته، اعتذرت له عن تأخرها ثم جلست وطلب كل منهما غدائه ثم بدئا يتحدثان فأخبرته داليا بشأن المقال الذي تحقق فيه وعن عدم قدرتها على فهم ما حدث وربط الأحداث ببعضها فطلب عامر منها أن تحكي له الأمر بالتفصيل وجلس ينصت لها، كان عامر شديد الذكاء وكانت داليا إن احتارت في أمر ما لجأت إليه على الفور فقد كانت تحب حكمته في حل المشاكل والأمور المستعصية وتحليله للأحداث من حوله.

أنهت داليا حديثها ثم بدأ عامر حديثه قائلاً: أعتقد أن أهم مفتاح لتلك القضية هو الشاب الغريب، أعتقد أن هناك علاقة كبيرة

بينه وبين الاكتشاف وهو الوحيد الذي يستطيع الاجابة على كل تلك الأسئلة

فسألته داليا: في رأيك ماذا يمكن أن يكون هذا الاكتشاف العظيم؟ فأجابها بأنه لا يعلم ثم انتهيا من حديثهما وعاد كل منهما إلى منزله، ظلت داليا تفكر طوال الليل وتحاول جاهدة أن تحدد خطوتها القادمة فهي لم تعتد أن تفشل في تحقيقاتها وطالما أمسكت بطرف خيط لن تهدأ حتى تصل إلى آخره ولكنها لم تتمكن من فك لغز الاكتشاف حتى أرهقها التفكير فقررت الاستسلام للنوم.

استيقظت صباح اليوم التالى وذهبت إلى الجريدة وما أن دخلت مكتبها حتى فوجئت بعامر ينتظرها في الداخل فسألته متلهفة عن سبب مجيئه إلى مكتبها مبكرا هكذا دون أن يخبرها، فابتسم ثم قال لها أنه قد أعد لها مفاجئة بخصوص تلك القضية فارتسمت اللهفة على وجه داليا ثم سألته عن تلك المفاجئة؛ فأخبرها عامر أنه تحدث مع أخيه الأكبر الذي يعمل ضابط بأمن الدولة بخصوص تلك الجريمة واخبره أنه تم القبض على الفاعل ليلة أمس ولكن لم يعلن عن الخبر حتى يتم التحقيق معه، فانفرجت أسارير داليا مما سمعته ثم سألته أن يطلب من أخيه مقابلة ذلك الشاب فأخبرها عامر أنه طلب من أخيه هذا بالفعل ووافق ولكن بعد أن ينتهو من التحقيق معه فسألته داليا: ومتى سينتهو من التحقيق معه؟ فأخبرها عامر أنه لا يعلم ولكن فور

أن ينتهو سيخبرها، بعدها غازلها عامر قائلا ألا أستحق شيئا مقابل هذا؟

فنطقت فى خجل، وماذا تريد؟

فأشار عامر إلى خده الأيمن بإصبعه وقال لن أقبل بأقل من قبلة، فاحمر وجهها خجلا وقالت له: إنك تحلم.

فقال لها ضاحكا: إذا فلأبحث لي عن صحافي آخر يقدر مجهودي الكبير هذا، فقالت له حسنا انتظر، موافقة وأعطته قبلة رقيقة على خده الأيمن

فداعبها عامر قائلا: حسنا الآن أستطيع أن أقدم المزيد من الخدمات فضحكت داليا قبل أن يخبرها عامر أن عليه الذهاب حتى لا يتأخر على عمله.

انطلق عامر مسرعا بعد أن أنهى حديثه مع داليا إلى شركة الكيماويات التي يعمل بها فهو قد استنفذ عدد مرات الغياب المسموحة له وقد حذره مديره أنه إذا تغيب عن عمله ولو ليوم واحد سيتم فصله مباشرة من الشركة التي لولا علاقات أخيه الكبير الذي لطالما ينعته بالفاشل دوما ويراهن على أنه لن يكمل في تلك الوظيفة لم يكن ليشغل تلك الوظيفة من الأساس، فور أن دخل إلى الشركة توجه إلى مديره وبادره بالاعتذار عن تأخره قليلا على موعد العمل وبلباقته التى يتمتع بها استطاع أن يجتاز هذا الموقف، بعدها ذهب ليبدأ عمله بعد أن شكر الله

أنه لم يتم فصله من وظيفته، ولسوء حظه أنه بعد مرور ساعتين من بدء العمل رن هاتفه ليجد أخاه الأكبر يخبره أن التحقيق مع المجرم قد انتهى وأنه سيرحل بعد أقل من ساعتين إلى جهة أخرى لتستكمل التحقيق معه بعد أن اعترف بقتله لفوزي غنيم؛ ولكنه رفض أن يخبر أحدا عن سبب ارتكابه الجريمة، كما أخبره أيضا انه إن لم تأتِ داليا خلال ذلك الوقت فلن تتمكن من إجراء الحوار الصحفى معه لهذا يجب عليها أن تسرع بالذهاب إلى مقر عمل أخيه فورا ثم أنهى المكالمة.

على الفور قام عامر بالاتصال بداليا ولكنها لم تجبه فعاود الاتصال بها مرة أخرى لكنها لم تجبه فظل يحاول كثيرا؛ ولكن دون جدوى فأصابته حيرة شديدة، فالوقت يمر و داليا لا تجيب وهو لا يستطيع أن يغادر العمل تحت أي ظرف مهما كان وهو يعلم جيدا أنه إن خطت قدمه خطوة واحدة خارج الشركة قبل انتهاء فترة العمل فهذا يعنى أنه سيخسر وظيفته وفي نفس الوقت يعلم جيدا مدى أهمية هذا التحقيق بالنسبة لداليا لذا فكان عليه الاختيار بين أن يقف مكتوف الأيدي أو أن يترك عمله ويذهب إلى الجريدة ليحضر داليا.....
لم يستغرق عامر وقتا طويلا في اتخاذ القرار ففي غضون دقائق كان قد بدل ملابسه واتجه إلى خارج الشركه دون أن يتردد لحظة أو يلتفت للوراء، كان يعلم جيدا أنه بهذا القرار قد أكد وبرهن على نظرة أخيه الكبير له بأنه فاشل لايستطيع تحمل

مسؤلولية نفسه أو حتى أن يصبح ناجح في عمله إلا أنه لم يكترث لذلك.

وصل عامر إلى الجريدة ثم اتجه مسرعا إلى مكتب داليا ودلف إلى داخله وما إن أبصر داليا حتى قال غاضبا اتصلت بك على الهاتف ما يفوق العشرين مرة ولم تجيبي
اندهشت داليا من رؤيتها لعامر ثم أمسكت بهاتفها ونظرت إليه ثم قالت آسفة لقد نسيت أن أغير الوضع الصامت ولكن ماذا هناك هل حدث شيء؟
فأجابها عامر قائلا: علينا أن نذهب الآن لاوقت لدينا سأشرح لكِ الأمر في الطريق، وعلى الفور هبطا الدرج سويا ثم أوقف عامر سيارة أجرة وهما بالركوب سريعا بعدها سألته داليا أن يخبرها إلى أين وجهتهم فقد بدأ قلقها يزداد، فأخبرها عامر بمكالمة أخيه له وأن عليهما أن يسرعا وإلا لن تستطيع مقابلة الشاب وفضل بأن لا يخبرها بأمر تركه لوظيفته.

ظهرت السعادة العارمة على وجه داليا بعد أن شعرت أنها أصبحت على مقربة من معرفة هذا الاكتشاف وبعد قليلا وصلا إلى وجهتهما وما أن خرجا من سيارة الأجرة حتى أخرج عامر هاتفه وقام بالاتصال بأخيه وأخبره أنه قد وصل فأخبره أخاه أن ينتظر قليلا وسوف يرسل له من يصطحبه إلى غرفة الشاب واعتذر له لكونه اضطر ان يغادر لأمر هام .

وبالفعل بعدها بدقائق وجد عامر شخصا يقترب منه بحذر ثم سأله هل أنت عامر؟

فأجابه عامر قائلا : نعم أنا عامر.

فقال له الرجل : أنا أحمد أمين شرطة وأعمل مع عادل باشا أخاك وهو قد كلفني باصطحابكما إلى المتهم والآن عليكما اتباعي، فلم يعد لدينا الكثير من الوقت قبل أن يتم ترحيله.

سار الأمين أحمد ومن خلفه عامر وداليا يتبعانه وصعد الدرج فصعدا خلفه ثم سار ببعض الممرات إلى أن وصل إلى ممر طويل به غرف كثيرة إلى أن توقف أمام غرفة وطلب منهما أن ينتظراه في الخارج قليلا ثم دلف هو إلى الغرفة بعدها خرج من الغرفة وأخبرهم أنه يمكنهما الدخول الآن وأنه يجب عليهما الإسراع وأن أمامهم مدة تقل عن ربع ساعة بعدها سيرحل المتهم فأسرعا بالدخول .

كانت الغرفة صغيرة نوعا ما يتدلى من سقفها مصباح صغير وتتوسطها طاوله وثلاثة كراسي حديدية وكان الشاب قاتل السيد فوزي غنيم جالسا على أحد تلك الكراسي مقيد اليدين لم يرفع عينه ليراهما ولم يعر لدخولاهما أية اهتمام جلست داليا على الكرسي المقابل له وجلس عامر عن يمينها

بعدها أخرجت داليا أوراقا وقلما ووضعتهما على الطاولة أمامها ثم نظرت إليه وقالت أنا داليا علام صحافية وجئت إلى هنا

لأجري معك حوارا صحافيا، لم يبدو على الشاب أي تأثير لما قالته داليا فقد ظل ناظرا إلى الارض ولم يحرك ساكنا أو ينطق بكلمة.

فقالت له داليا: ما اسمك؟

فلم يجبها فأعادت عليه السؤال مرة أخرى فلم يجب مجددا.

فسألته داليا: لماذا قتلت فوزي غنيم؟ ولكنه ظل صامتا.

فقالت له: هل قتلته لأنك كنت تريد سرقة اكتشافه، فرفع عينه أخيرا ليظهر وجهه الشاحب وعيناه المحمرتان وهو يقول غاضبا لم يكن اكتشافه من الأساس.

فسألته داليا: إذا اكتشاف من هذا؟

وما هو هذا الاكتشاف من الأساس؟

فصمت قليلا قبل أن تذرف عيناه بالدموع ويقول بصوت خفيض: هو من أراد ان ينسب اكتشاف والدي لنفسه.

فقالت له داليا دعني أساعدك وأخبرني بالحقيقة كاملة، تبدو شابا مهذبا وأشعر أن هناك سبب قوي هو الذى دفعك لارتكاب تلك الجريمة احكِ لي كل شيء ولا تخف، وأعدك أني سأحاول مساعدتك.

ظل الشاب صامتا قليلا ثم قال : سأخبركم بكل شيء وبدأ يحكي قصته من البداية.

اسمي حامد، بدأ الأمر كله بعد أن أصاب أبي المرض قبيل وفاته بأيام قليلة وتم نقله إلى المستشفى وقضى بها أكثر من أسبوع، كانت حالته تسوء يوما بعد يوم فأضطررت أن أقضي معه معظم ساعات اليوم وأعود لأبيت بمنزلنا؛ ولكن مع صباح اليوم التاسع حين ذهبت إلى المستشفى أخبرتني الممرضة أن أبي قد فارق الحياة ليلا قبل أن تُخرج من جيبها ورقة وتعطينى إياها، ثم أخبرتني أن والدي هو من أعطاها لها وطلب منها أن توصلها إلي، لم أكن اعلم أن تلك الورقة ستعصف بحياتى يوما ما.
أخذت الورقة ووضعتها في جيبي ولم أتذكرها إلا بعد يومين من وفاة والدي فقد كنت مشغولا باجراءات الدفن والعزاء، أخرجتها وبدأت أقرأها
" ابني الحبيب حامد بما أنك تقرأ تلك الورقة الآن فهذا يعني أني قد فارقت الحياة لابد أنك مشوش الآن وتتسائل عن ما بتلك الورقة التي أوصيت الممرضة أن توصلها لك بعد أن شعرت أن نهايتي قد أصبحت وشيكة، لا بد أن تعلم قيمة ما تمتلكه الآن إنه أعظم إنجاز استطعت أن أصل إليه طيلة حياتي وبك سيكون أعظم اكتشافات ذلك العصر منذ أكثر من ثلاثون عام حين كنت في مثل عمرك أو أكبرك بقليل وأثناء عملي بموقع للتنقيب عن المياة الجوفية وجدت خريطة قديمة متئاكلة بالصدفة وشعرت

أنها ذات قيمة وربما تكون أثرية أخذتها معي إلى البيت ولم أعرها انتباها وتركتها لأكثر من عشر سنوات وسط مقتنياتي القديمة وذات يوم بينما كنت أستعيد ذكرياتي القديمة وأقلب بين تلك المقتنيات لأتذكر أصدقائي القدامى وأيام شبابي وقعت عيني على تلك الخريطة فتذكرتها ثم دفعني فضولي للبحث وراء تلك الخريطة فبدأت أترجم بعض كلماتها ووجدت أنها تشير إلى مكان موجود به بلدة تسمى ميجورا بحثت كثيرا عن هذا الاسم لكني لم أجد أي كتاب قد تحدث عنها من قبل فأعدتها إلى مقتنياتي القديمة مجددا ونسيت أمرها لأكثر من عشر سنوات أخرى ولكن مع تطور طرق البحث وظهور مواقع البحث الالكتروني قمت بالبحث عنها مجددًا كمحاولة لارضاء فضولي وكانت المفاجئة حين وجدت بعض المعلومات القليلة جدا عن تلك الكلمة، كانت بعض النتائج تقول أنها كلمة يونانية والبعض الآخر كان يقول أن تلك الكلمة تشير إلى أسطورة رومانية قديمة وكانت تلك الأسطورة تقول أن أحد جنود الرومان اختفى لأكثر من عشر سنوات ثم ظهر مجددا وحين سُئل عن سنوات اختفائه قال أنه قد أُرسل هو وعدد من الجنود إلى مدينة صغيرة في مصر ولكن لا أحد يعلم موقعها بالضبط ، قال أنه دخل إليها عن طريق بوابة بالقرب من واحة سيوه بصحراء مصر الغربية وقضى بها عشر سنوات وفي النهاية قال أن أهلها استطاعو قتل جميع الجنود الذين ذهبو معه واستطاع هو الهروب في اللحظة الأخيرة، لم يصدقه أحد ولكنه

بدأ يحكي الكثير من القصص الغريبة التي حدثت معه بالأسفل ويصف لهم مكان تلك البوابة ولكن تزامن هذا مع سقوط الإمبراطورية الرومانية فلم ينتبه أحد إليه.

بعدها فكرت كثيرا بالأمر وأخبرت صديقي فوزي غنيم وزير الموارد المائية والري السابق بشأن ما وجدته فسخر مني واتهمني بالجنون فعزمت على أن أذهب إلى هذا المكان وحدي لأعرف إن كان الأمر صحيحا أم أن هذا كله هراء، بالفعل حددت موقع البوابة على الخريطة ثم توجهت إلى واحة سيوا ومنها إلى المكان المذكور بالخريطة جنوب صحراء مصر الغربية قرب الحدود مع ليبيا ولم آخذ معي دليل يرشدني فقد عملت في هذا المكان لأكثر من خمسة أعوام وأعرف عنه الكثير وبدأت أبحث عن ذلك المكان في الصحراء القاحلة، كنت أبحث خلال ساعات النهار وأعود ليلا إلى الواحة واستغرق تحديد هذا المكان أكثر من عشرة أيام ولكني كنت على ثقة تامة أني سأصل للمكان المحدد على الخريطة، وبالفعل استطعت الوصول إليه صباح يومي الحادي عشر من البحث.

لم يكن هذا المكان سوى كهف صغير من الصعب الوصول إليه نظرا لوقوعه أسفل انحنائة أرضية بها الكثير من الصخور الضخمة تجعل من الصعب على العين ملاحظته من بعيد ودخوله يتم خلال فجوة ضيقة تستدعي الانحناء والزحف حتى

الوصول إلى فتحة الكهف الذي كان مسدود بطبقة صخرية ليست بالسميكة وما أن وصلت حتى قمت بتحطيم جزء صغير منها بالكاد كنت أستطيع النظر من خلالها ولكني صعقت حين رأيت مساحات شاسعة من الأراضي الصحراوية المظلمة بالأسفل والكثير من البيوت المتراصة بجانب بعضها البعض فيما يشبه المدن القديمة، كان المكان يشبه وادٍ كبير وشديد العمق وكما يبدو كانت تلك الفتحة تطل على المدينة من الأعلى فأسرعت بردم الجزء المحطم من الصخرة وردمت جزء آخر بعدها وأنا غير مصدق لما رأيته بعيني ثم صعدت وردمت الجزء العلوي من الحفرة في بداية الكهف حتى يصبح بعيدا عن الأعين كما كان ثم وضعت بعض العلامات لتدلني حين أعود وكان أبرزها فأس أعلى كومة من الصخور رصت بطريقة ملفتة على بعد ثلاثمئة قدم من الكهف حتى إن عثر عليهم أحد وحاول أن يبحث بالقرب من تلك الصخور لن يجد شيئ حتى أعود إلى الكهف مجددا، بعدها عدت إلى القاهره وأنا عاقد العزم على أن أعود مجددا لاكتشاف تلك البلدة ولكن مع اتخاذ كافة الاتياطات والأدوات اللازمة لتلك الرحلة مثل كاميرا لأوثق بها كل ما أكتشفه داخل هذه البلدة وغيرها من الأدوات اللازمة ولأحضر معي شخصا أثق فيه يشاركني تلك الرحلة، وكان هذا الشخص هو فوزي غنيم الذي كنت قد أخبرته بشأن الخريطة مسبقا وسخر مني ولكني كنت أثق به كثيرا، اتصلت به هاتفيا فور وصولي وطلبت مقابلته فلبى طلبي سريعا وحين وصل

أخبرته أن المكان المذكور بالخريطة حقيقي وموجود بالفعل على أرض الواقع وأني قد وجدت الكهف الذي من خلاله نستطيع الوصول إلى هذا المكان وطلبت منه أن يأتي معي لنكتشفها لكنه أخبرني أن أنتظره ليومان حتى يستطيع أن يتدبر أموره، فوافقته على هذا وبعد أن مرر اليومان عاد إلي وأخبرني أنه جاهز وكنا على وشك الذهاب إلى الكهف مرة أخرى لنكتشف هذا المكان ثم نعود ونكشفه للعالم كله؛ ولكن لسوء الحظ أصابني المرض في آخر أيامي واضطررت أن ألزم الفراش وبدأت أشعر أنها النهاية وأن الموت صار قريبا مني، اتصلت بصديقي فوزي كثيرا ولكنه لم يجب ولم يزورني حتى في المستشفى فبدأت أقلق بشان اكتشافي وشعرت أنه بدأ يطمع في هذا الاكتشاف لنفسه فهو الآن على علم بكل شيء عن هذا الاكتشاف ويعلم المكان وكيفية الوصول فمن السهل جدا أن يذهب إلى هناك في أي وقت ويعود وينسب الاكتشاف لنفسه لذا كتبت تلك الرسالة فور أن شعرت باقتراب نهايتي ورسمت لك خريطة تفصيلية تصف لك كيفية الوصول إلى هناك،
أنت الآن تمتلك المعلومات الكاملة عن تلك الخريطة وبيدك الاختيار إما أن تكمل ما بدأته أنا أو أن تبيعها مقابل ماشئت من أموال، أثق أنك ستتخذ القرار الصحيح.

كانت دهشتي قد بلغت ذروتها بعد أن انتهيت من قرائة تلك الورقة التي تركها لي والدي وظللت صامتا لدقائق وكأن عقلي

لايستوعب ما قرأته لتوي بعدها نهضت وبدأت أبحث عن تلك الخريطة، كان والدي قد ذكر مكانها على ظهر الورقة التي تركها لي مع الممرضة فوجدتها بسهولة، كانت خريطة قديمة متهالكة نظرت إليها بتمعن كانت عبارة عن خريطة مرسوم بها صحراء مصر الغربية رسمت عليها دائرة تشير إلى مكان أقصى جنوب الصحراء الغربية مكتوب عليها ميجورا بعدها تركت الخريطة من يدي وحدثت نفسي قائلا " لا بد أن عقل والدي قد أصابه الخرف في آخر أيامه " كان هذا رد فعل منطقي تجاه ما قرأت فلا يوجد شخص عاقل قد يصدق هذا الهراء، بعدها وضعت الخريطة والورقة في درج مكتبي وتناسيت أمرها وعزمت على أن أكمل حياتي؛ ولكن بعد مرور ثلاثة أيام قرأت خبرا على مواقع التواصل الاجتماعي يقول أن الوزير السابق فوزي غنيم قد صرح أنه على وشك إعلان اكتشاف كبير وقتها أيقنت أن والدي كان على حق وأن كل كلمة قد كتبها كانت صحيحة فذهبت إلى درج مكتبي وأخرجت الورقة والخريطة وأعدت قراءتهما، ثم توجهت إلى صديق والدي القديم فوزي غنيم وما أن وصلت إلى منزله حتى استقبلني بحفاوة ثم اعتذر عن عدم حضوره عزاء والدي بعدها بدأت أتحدث معه بشأن الخريطة والاكتشاف فتغيرت تعابير وجهه وظهر عليه الارتباك الشديد؛ كما أنكر أنه لا يعرف شيء عما أتحدث وقتها قلت له وماذا عن اكتشافك الذي ستعلنه قريبا؟

فما كان منه إلا أن قام بطردي خارج منزله،عدت إلى منزلي بعد أن أصبحت على يقين تام أن هذا الرجل فعلا سرق اكتشاف والدي.
مكثت ببيتي يومين أفكر في طريقة تمنعه من أن ينسب هذا الاكتشاف له فلم أجد إلا أن أعود إليه وأحاول أن أتحدث معه بهدوء وأقنعه بأن لا يسرق ما أضاع أبي في اكتشافه أكثر من ثلاثون عاما ولكنه رفض فعرضت عليه فقط أن يشرك اسم والدي بهذا الاكتشاف تكريما له ولكنه رفض أيضا وقام بطردي مجددا.
عدت إلى منزلي بعد أن انتابنى شعور بالقهر لم أشعر به من قبل؛ ولكن سرعان ما تحول هذا الشعور إلى شعور عدائي وغضب عارم؛ فكيف لشخص أن يستبيح لنفسه سرقة مجهودات الآخرين بتلك السهولة؟
لم أستطع السيطرة على غضبي وفي اليوم التالي وجدت قدمي تأخذني أمام ڤيلته فتسللت إلى الداخل دون أن يشعر بي أحد ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أغرس في صدره سكين حادا فوقع أمامي جثة هامدة، بعدها عدت إلى منزلي، وفي اليوم التالي ذهبت إلى قسم الشرطة وأخبرتهم أني أنا من قتله.
في تلك اللحظة دخل الأمين أحمد إلى الغرفة ومعه اثنان من العساكر وأخبرهما أن مدة الزيارة قد انتهت، وأن حامد سيتم ترحيله الآن ويجب عليهما اللمغادرة.

في تلك اللحظة أمسك حامد بالقلم من يد داليا وسحب ورقة من على الطاولة أمامه وكتب عليها بعض الكلمات قبل أن يسحبه العسكري من خلفه ثم نطق بينما كان يجره العسكري "اذهبا إلى هذا العنوان ستجدا الخريطة في درج المكتب" ثم غادر.
بعدها أخذت داليا الورقة التي كتب بها حامد عنوانه ولملمت أوراقها قبل أن تغادر هي وعامر االقسم وقررا أن يذهبا لتناول الغداء سويا.
وصل عامر وداليا للمطعم وطلبا من نادل المطعم أن يحضر لهما الغداء ثم بدئا يتحدثا...
فقالت داليا: ما رأيك ياعامر فيما قاله حامد؟
فرد قائلا : أعتقد أن هذا الشاب يعاني من مرض نفسي، ثم تابع لا تخبريني أنك صدقتي شيئا مما قاله هذا الشاب،
تعجبت داليا من قول عامر وقالت: نعم انا على يقين تام أن هذا الشاب يقول الحقيقة.
رد عامر ساخرا: حقا .....أفيقي ياداليا نحن لسنا داخل فيلم للخيال العلمي نحن على أرض الواقع وما قاله هذا الشاب لا يمت للواقع بصلة.
ردت داليا في جدية بالغة: مازلت أصدق هذا الشاب، وسأثبت لك أني على صواب بعد أن أحصل على الخريطة لتتأكد أنه كان يقول الحقيقة.

رد عامر في تحدي: حتى وإن وجدنا الخريطة ما أدراكِ أنها حقيقية وليس هو من قام برسمها، صدقينى هذا الشاب ليس إلا مريض نفسيا، وستكشف التحقيقات ذلك .

فردت داليا قائلة: حسننا ما رأيك أن نذهب غدا إلى العنوان الذي كتبه لنا حامد ونجلب تلك الخريطة، وإن وجدتها ستفيدني كثيرا في تحقيقي .

فوافقها عامر واتفقا على أن يتقابلا سويا في اليوم التالي ليذهبا ويبحثا عن الخريطة.

عاد عامر إلى منزله مرهقا فقد كان يومه طويلا وشاقا للغاية؛ ولكنه فوجئ بأخيه الكبيرعادل ينتظره في الشقة فألقى عليه عامر السلام؛ ولكن عادل رد عليه فى غضب: أخبرني صديقي أنه تم فصلك من عملك نهائيا بالشركة، هل هذا صحيح؟

فأجابه عامر قائلا: نعم.

رد عادل: لماذا؟

كاد عامر يجيبه؛ ولكن اخيه أكمل حديثه قائلا لأنك فاشل .....فاشل وعديم المسؤولية ولن تنجح أبدا في حياتك، لقد سئمت منك، ثم خرج من الشقة وأغلق الباب خلفه إلا أن عامر لم يهتم لما قاله أخيه فهو معتاد على هذا منه ويعرف أنه يفعل هذا بدافع حبه له وفضل أن يذهب ليخلد إلى النوم كأن شيئا لم يكن.

وفي تمام الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي اتجه كلا من عامر وداليا إلى عنوان شقة حامد ليحضرا الخريطة، كانت شقة صغيرة في أحد أحياء الجيزة ولحسن حظهم كانت الشقة في الطابق الأرضي حاول عامر أن يضرب الباب بكتفه كي يفتحه؛ ولكن دون جدوى فاتجه إلى خارج المنزل ليبصر نافذة زجاجية صغيرة تابعة للشقة فانتظر قليلا حتى أتت لحظة أصبح فيها الشارع خالي من المارة قفز إلى داخل الشقة سريعًا وفتح باب الشقة من الداخل حتى تتمكن داليا من الدخول ثم أغلقا الباب سريعا قبل أن يبصرهما أحد، كانت الشقة مظلمة تماما وخشي عامر أن ينير أي مصباح فيشعر أحد من الجيران بوجودهما فأخرج هاتفه وبدأ بالبحث على ضوئه في أرجاء الشقة حتى وجد المكتب وفي أحد أدراجه وجد الورقة والخريطة فأخذهما وأعطاهما لداليا كي تضعهما بحقيبتها ثم خرجا من الشقة مسرعين بعد أن حصلا على ما قد جائو من أجله بعدها اتجها إلى مقهى في وسط القاهرة كانا قد اعتادا الجلوس فيه.

وما إن وصلا حتى أخرجت داليا الورقة والخريطة من حقيبتها وبدأت تنظر إليها مندهشة ثم وضعتها على الطاولة أمامها وقالت لعامر: تبدو قديمة للغاية إضافة إلى أنها مرسومة على ورق لا يشبه الورق العادي ثم تابعت ألم أخبرك أن هذا الشاب يقول الحقيقة من المستحيل أن يكون هو من رسم تلك الخريطة.

رد عامر مبتسما: لا يهم ذلك الآن، المهم هو أنك نجحتي وتمتلكين الآن تحقيقا قويا يمكنك أن تعودي به إلى الجريدة بعد أن انتهيتي من هذا التحقيق بامتياز.

ردت داليا في حماس: لا ياعامر التحقيق لم ينتهِ بعد بل بدأ لتوه.

فرد عامر مستغربًا: كيف هذا!

قالت داليا: اسمعني جيدا يا عامر الموضوع أصبح أكبر من مجرد تحقيق صحافيا ضخم، أنت لا تشعر بما تمتلكه بين يديك الآن، سنكمل مابدأناه سويا وسنذهب إلى الصحراء الغربية ونبحث عن هذا الكهف ومنه إلى هذا البلد لنعود بأعظم اكتشاف.

رد عامر في غضب شديد: أنتِ تحلمين! ما أدراكِ أن تلك الخريطة حقيقية حتى وإن كانت حقيقية هل تعتقدين أنه من السهل أن تصلي إلى كهف ظل بعيدا عن عيون الناس طيلة هذه القرون، ولا أنا ولا أنتِ نعرف شيئ عن الصحراء، ألم تسألي نفسكِ لم ظل هذا الكهف بعيدا عن أعين الناس طيلة هذه القرون إن كان حقيقيا من الأساس، ثم صمت قليلا ليكمل؛ لأنه من المؤكد في منطقة وعرة لا يمر بها أحد وأضيفي إلى كل هذا أنه من المحتمل أن لا تجدي شيئ .....ما تودين فعله يعد انتحار وأنا لن أسمح لكِ بأن تفعلي هذا تحت أي ظرف من الظروف، من الأفضل انأن تكتبي تحقيقك وتسلميه لقد حصلتِ على

معلومات لم تتخيلي يوما أن تحصلي عليها، الجميع سيرفع لكِ القبعة على مابذلتِ من جهد.

ردت داليا في غضب:عامر أنت تهدر على نفسك وعليّ فرصة لن تتكر مرة أخرى.

رد عامر في حزم: انسِ الأمر لن أذهب أنا ولا أنتِ إلى أي مكان.

قالت داليا بنبرة غاضبة: لمَ تقتل طموحي ياعامر!

نظر إليها عامر قليلا ثم قال: تركت عملي الذي قد حصلت عليه بأعجوبة لأجل سبب قد يراه البعض تافه وهو أن لا يفوتك تحقيق، مجرد تحقيق قد يراه البعض لاقيمة له من أجلك وتحملت نعت أخي لي بالفاشل من أجلك أنتِ، وكنت معكِ خطوة بخطوة وتتهميني أني أقتل طموحك.

بعدها نهض عامر من مجلسه ثم ترك مبلغ ماليا على الطاولة وغادر دون أن ينطق بكلمة.

غادرت داليا المقهى وعادت إلى بيتها جلست على سريرها تفكر فيما فعلته لتدرك أنها أخطأت في حق عامر خطأ كبيرا جدا فأمسكت بهاتفها وطلبته لعدة مرات ولكنه لم يجبها ففضلت أن تنتظر حتى الصباح وتذهب إليه لتعتذر له عن ما قالته، وبالفعل في صباح اليوم التالي وجد عامر من يطرق باب شقته مبكرا فنهض من مجلسه وفتح الباب ليجد أن داليا هي من كانت

تطرق الباب وما إن رأته حتى نطقت قائلة: أنا آسفة ياعامر حقا آسفة.

فصمت عامر قليلا فأكملت داليا حديثها قائلة: سأنتظرك أمام المنزل ارتدي ثيابك ثم الحق بي لنحتسي القهوة سويا، ثم هبطت الدرج.

ارتدى عامر ملابسه ثم لحق بداليا وذهبا إلى المقهى، طلبا قهوتهما فأمسكت داليا بيد عامر وقالت له أنا آسفة ياعامر أنا فقط كنت متحمسة كثيرا واجتاحني غضب شديد حين أخبرتني أننا لن نكمل البحث ولم أدرِ ما أقول، لم أستطع أن أنام طوال الليل لشعوري أني قد أخطأت في حقك ثم صمتت قليلا قبل أن تكمل قائلة انإن أردتني أن أنهي تلك القضية اليوم سأفعل؛ ولكن وقتها سيضيع من بين أيدينا فرصة كبيرة جدا قد تغير حياتنا وكادت تكمل حديثها؛ ولكن عامر قاطعها قائلا: وانا موافق.

فردت داليا متعجبة: موافق على ماذا؟

فأجابها عامر: موافق أن نكمل ما بدأناه لقد فكرت كثيرا بالأمر ووجدت أنها فرصة كبيرة لنا ثم ابتسم قبل أن يتابع، لا تتيح الحياة للمرء فرصة اكتشاف مكان جديد كل يوم كما أني لا أستطيع أن أكون عائق لطموحاتك وجنونك أيضا كما أن نجاحك يعني نجاحي.

بلغت فرحة داليا عنان السماء لما سمعته لتوها من حديث عامر إليها وقالت غير مصدقة: حقا ؟

قال: نعم والآن متى تودي أن نبدأ رحلتنا؟
ردت داليا: غدا.
فقال لها عامر ضاحكا: ألم أخبرك أنكِ مجنونة بعدها تعالت ضحكاتهم
قبل أن يبدئا التخطيط لرحلتهما وعن كيفية رحيلهما وأقرب مكان لهذا الكهف والأغراض التي سيحتاجونها ثم اتفقا أن يتقابلا في تمام الساعة السادسة صباحا ليمضو في رحلتهم ثم غادرا ليستعد كل منهما لتلك الرحلة.
وفي تمام الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كان عامر وداليا قد استقلو حافلة سياحية ممتلئة بالكثير من السائحين الراغبين في خوض المغامرات ورحلات السفاري الممتعة متجهة إلى الصحراء الغربية في رحلة ستستغرق خمسة عشر يوما حيث ستمر على الكثير من الأماكن السياحية بالصحراء الغربية مثل الواحات البحرية وواحه الفرافرة وأبو منقار ووادي حمره ثم كهف السباحين وكهف المستكاوي وأخيرا إلى محمية الجلف الكبير والذي يعد أقرب الأماكن إلى هضبة الجلف الكبير بعدها تعود الحافلة السياحية إلى القاهرة مرة أخرى.

بدأت الحافلة في المضي قدما إلى طريق الرحلة ومع نهاية اليوم الأول من الرحلة توقفت الحافلة للمبيت بالواحات البحرية لتكمل طريقها في صباح اليوم التالي حيث كانت الحافلة تمضي

قدما في رحلتها صباحا وتبيت مسائا بأقرب واحة أو قرية لتكمل طريقها في صباح اليوم التالي ومع اليوم الأخير من طريق ذهاب الرحلة كان عامر ودواليا قد وصلا إلى محمية الجلف الكبير والتي تعتبر أقرب مكان لكي يتوجهو إلى ذلك الكهف كما ذكر في الرسالة كانت الساعة السابعة مساءا حين بلغا وجهتهم المقصودة حيث توقفت الحافلة للمبيت بحانة صغيرة قرب محمية الجلف الكبير ثم صعد كل منهما للمبيت بغرفته.

وفي تمام الساعة العاشرة صباحا كان عامر ودواليا يتناولان فطورهما سويا ثم أحضر كلا منهم أغراضه التي سوف يحتاجها في رحلته بعدها توجه عامر إلى مكان يستطيع أن يستأجر منه جملين ليستطيع التوغل داخل الصحراء والبحث عن الكهف

واستطاع عامر إقناع صاحب الجملين أن يتركهما يذهبان بمفردهما داخل الصحراء بعد جدال دام لأكثر من نصف ساعه حاول الرجل أن يقنع عامر بخطورة التوغل داخل الصحراء بمفردهما دون دليل يرشدهما؛ ولكن عامر بذكائه ولباقته استطاع إقناع الرجل أن يتركه يذهب بمفرده بعد أن كذب عليه وأخبره أنه عمل بتلك المنطقة من قبل عندما كان يعمل في حفر الآبار والبحث عن المياه الجوفية وأخبره أيضا أنه لن يبتعد كثيرا وأنهم سيعودان في غضون ثلاث ساعات لا أكثر فاضطر الرجل أن يوافق في النهاية.

كان الاوان ظهرا حين امتطى كل منهم الجمل الخاص به وتوجها إلى داخل الصحراء مبتعدين عن الفوج السياحي الذي أتو بصحبته، كان عامر يعرف تماما خطورة ما يفعله فمن الممكن أن يضلا طريقهما ولا يستطعا العودة ومن الممكن أيضا أن يسيرو في منطقة وعرة أو يمرو برمال متحركة؛ ولكنه لم يهتم لذلك، كل ما كان يشغل باله هو أن يصل هو وداليا إلى وجهتهم بعد أن بدأ يشعر هو أيضا بقيمة هذا الاكتشاف وأصبح مقتنع بكلام داليا بعد أن فكر في الأمر بجدية.
كان عامر وداليا يسيران بجانب بعضهما البعض وفقا للاتجاه المحدد على الخريطة ومن حين لآخر يخرج عامر بوصلته تارة والخريطة تارة أخرى حتى يتأكد أنه يسير في الطريق الصحيح ويتلفت هو وداليا من حولهم علهما يجدان شيء ولكن لا يجدان إلا الصحراء تحيط بهم من جميع الاتجاهات وبعد مسيرة أكثر من أربعة ساعات بالصحراء أبصر عامر من بعيد هضبة فصاح بصوت عالٍ لقد وصلنا لقد ... وصلنا فكانت تلك الهضبة دلالة على أنهما قد أصبحا قريبين جدا من الكهف طبقا لما هو مرسوم على الخريطة فهذا الكهف يقع بالقرب من هضبة الجلف لكبير بحوالي ثلاثة كيلو مترات.

هبط عامر وداليا من على جمليهما بعد أن وصلا لمنطقة صخرية يستطيعون السير بها وبدئا يبحثان فى جميع الاتجاهات واستمر بحثهما لأكثر من ساعة ونصف وخلال ذلك الوقت لم

يمر أي شخص بتلك المنطقة كانت حقا منطقة نائية خالية من الحياة.

بدأت الشمس في الغروب وبدأت داليا تشعر بالقلق فهي لاتدري كيف سرقهم الوقت ومرت ساعات النهار بتلك السرعة؟
وإن لم يتمكنا من العثور على ذلك الكهف فهل سيتمكنا من العودة بعد أن تغيب الشمس؟
بدأت كل تلك الاسئلة والوساوس تدور بعقل داليا ولم يقطع تفكيرها إلا صوت عامر وهو يقول لقد وجدت الفأس والصخور.

انفرجت أسارير داليا ونست كل ما كان يدور بعقلها وركضت تجاه عامر الذي بادرها قائلا: الآن علينا أن نبحث بالقرب من تلك الصخور ابحثي أنتِ فى هذا الاتجاه وأنا سأبحث في الاتجاه الآخر؛ ولكن يجب أن نسرع قبل أن تغرب الشمس ويحيطنا الظلام من كل جانب وبالفعل بحث كل منهما في اتجاه وبعد مرور عدة دقائق اقتربت داليا من صخرتين كبيرتين وجدت بينهم تلك الفجوة المؤدية إلى الكهف التي ذكرها والد حامد فاتسعت حدقتا عيناها قبل أن تصيح بصوت عالٍ لقد وجدت الكهف.

ركض عامر تجاه داليا يكاد لايصدق ما سمعته أذناه للتو، وقفا ينظران إلى بعضهما البعض بعد أن أصبحا على بعد خطوة واحدة من بلوغ اكشافهما.

أسرع عامر بالدخول إلى تلك الفجوة الموجودة بين تلك الصخرتين، كان يزحف على ركبتيه ويديه ومن خلفه داليا وينير كلا منهم مصباحه فقد كانت الشمس قد غربت بالفعل وأصبح الظلام يسود المكان من حولهما. استمر عامر وداليا في الزحف لبضعة أمتار داخل هذا الكهف قبل أن يتسع رويدًا رويدًا فاستمرا في التقدم حتى وجدا أمامهما سدا أدركا أنه ليس إلا الطبقة الصخرية الفاصلة بين الكهف وتلك البلد فأمسك عامر بفأس كان قد أحضره معه وبدأ يحطم جزءا من هذه الطبقة الصخرية حتى صنع فجوة تمكنهم من المرور منها بينما كانت داليا تنير له بمصباحها إلى أن انتهى من صنع تلك الفجوة ثم اقترب هو وداليا لينظرا عبرها، في البداية لم يتمكنا من رؤية أي شيئ نظرا للظلام الحالك أمامهما ولكن سرعان ما لاحظ عامر أضواء خافتة تأتى من الأسفل أضواء كثيرة لكنها تبدو بعيدة للغاية وأيضا منخفضة للغاية وقتها أدرك أنه يقف هو وداليا على حافة شاهقة الارتفاع ثم نظرا إلى بعضهما البعض تكاد فرحتهما تبلغ عنان السماء وتعجز ألسنتهما عن الكلام.

ظلا غارقان في دهشتهما لثوانٍ حتى نظر عامر إلى داليا وقال لها بفخر: مستعدة لتكوني أول من اكتشف ميجورا؟
فأجابته مبتسمة: بكل تأكيد وتابعت لابد أن نهبط إلى الأسفل لنأخذ نظرة عن قرب.

فرد عليها عامر :في الصباح، أما الآن فعلينا أن نجد مكان نبيت فيه حتى الصباح، فقد كان يومنا شاقًا جدًا.

رحبت داليا بتلك الفكرة؛ فقد أنهكها البحث في الصحراء طوال ساعات النهار، ثم بدأا في البحث عن مكان ليمكثا به حتى الصباح، أخرج عامر مصباحه وبدأا في السير إلى أسفل هذا المنحدر، تجاه القرية، وتتبعه داليا من خلفه، حتى وجد صخرة كبيرة في طريقه، فقرر عامر إن يمكثا ليلتهما بجانب تلك الصخرة ويكملا طريقهما إلى القرية مع شروق الشمس، ثم ألقى نظرة إلى الأسفل فوجد أن القرية ما زالت بعيدة.

بعدها جلسا يتحدثان عن هذا الاكتشاف العظيم، ويتخيلان نفسهما بعد أن يكونا أول من اكتشف ميجورا، وكيف سيخلد التاريخ اسمهما، ويتحدثان عن مستقبلهما إلى أن غلبهما النعاس.

استيقظ عامر على صوت عال لدقات متتالية، وصخب شديد يأتي من الأسفل تجاه القرية، فنظر حوله وجد الشمس لم تشرق

بعد، فأكمل نومه ولم يبالي، ولكنه بعد قليل من الوقت استيقظ مجددًا حين سمع صوتًا لخطوات تقترب منه، ففتح عينه فوجد من يحدق، كانت فتاة تقف أمامه، تمعن النظر إليها فوجدها فتاةً عشرينية جميلة جمالًا لم تقع عينه على شبيهٍ له، معتدلة القوام، شعرها مثل سلاسل الذهب، ترتدي فستانًا حريريًا أسودًا.

نهض عامر سريعًا ثم سألها: من أنتِ؟

لم تنطق الفتاة بكلمة وظلت تتفحص عامر، وداليا التي ما زالت نائمة لا تشعر بشيء، فأشارت الفتاة بأصبعها الى داليا ثم قالت:
_ من هذه الفتاة؟ أليس من المفترض أن تأتي وحدك؟

انطبعت الدهشة على وجه عامر من سؤال تلك الفتاة فرد قائلًا:
_ ولماذا من المفترض أن آتي وحدي؟ هل تعرفينني سيدتي؟

أجابته الفتاة: بالطبع أعرفك، فأنا أنتظرك منذ أربعه أعوام.

فرد عامر: تنتظريني أنا؟ لا بد أنك تقصدين شخصًا آخر سيدتي، أنا لا أعرفك.

فأجابته الفتاة: ولكني أعرفك جيدًا أنا وكل من يعيش على هذه الأرض، فقد انتظرناك كثيرًا.

فرد عامر بعد أن صارت دهشته أضعاف ما كنت عليه:
_ تعرفونني جميعكم! كيف هذا؟!

ردت الفتاة قائلة: أنت من أتى إلينا من العالم الخارجي، أليس هذا صحيحًا؟

فأجابها عامر: بلى.

فأجابته الفتاة قائلة: إذًا أنت المنتظر.

في تلك اللحظة استيقظت داليا من نومها ونظرت إلى الفتاة ثم نظرت إلى عامر وسألته: من هذه الفتاة؟

فنطقت الفتاة قائلة: لا وقت للحديث الآن، يجب أن تختبؤا بعيدًا عن الأعين في أسرع وقت ممكن.

فسألها عامر: ولم علينا أن نختبئ؟

فأجابته الفتاة: ألم تسمع تلك الدقات العالية القادمة من الأسفل منذ قليل؟ تلك الدقات تنبه الجميع بأن المنتظر قد دخل أرض ميجورا وسيبداء الجميع بالبحث عنك ليقتلوك.

ظهر القلق الشديد على وجه عامر وداليا فنطقت داليا: ولماذا يودون قتله؟

كادت الفتاة أن تجيب داليا لولا أن سمعت صوت لخطوات تقترب فهمست لعامر وداليا بأن يحضروا أغراضهما ويتبعوها، وألا يصدرا أي صوت.
كان جزءًا صغيرًا من آشعة الشمس قد بدأ يضيء المدينة إضائة خافتة، حين ركضت الفتاة يتبعها عامر ومن خلفه داليا، واستمرا في الركض حتى وصلا إلى كهف توقفت عنده الفتاة، ثم دخلته مسرعة بعد أن أشارت إليهما بأن يتبعاها فتبعاها مسرعين، أخبرتهم أن هذا المكان هو أأمن مكان يمكنهما أن يختبئا بداخله بعيدًا عن أعين الناس.

فتحدث إليها عامر بنفاذ صبر: فلتشرحي لي الآن ماذا يحدث بالضبط أيتها الفتاة؟
لماذا يبحث عني كل أهل المدينة؟ ولماذا يودون قتلي؟
وماذا تقصدين بأني المنتظر؟
والأهم من كل ذلك من أنتِ؟

ردت عليه الفتاة في هدوء شديد: سأشرح لك كل شيء سيدى، ولاكن الآن سأذهب لأحضر لكما زي يشبه زي أهل ميجورا

حتى لا تلفتا الأنظار وتصبحا مثل أهل ميجور، ثم أخبرتهما أنها ستعود بعد ساعتين، فما زال أمامها طريق طويل حتى تهبط إلى القرية قبل أن تعود مجددًا، فعلى الرغم من أنهم هبطوا قليلًا ليصلا إلى الكهف الذى يختبئا به إلا أنهم ما زالا على ارتفاع شاهق وما زالت القرية بعيدة، بعدها تركتهما وغادرت الكهف.

ظل كل من عامر وداليا ينظران إلى بعضهما البعض وبدى القلق ظاهرا على وجه كليهماة فأمسك عامر بيد داليا وحاول أن يطمئنها، إلا أنه لاحظ حين نظر في ساعة يده شيئًا غريبًا، فحين نظر إلى ساعته وجدها التاسعة والنصف صباحًا ولكن ما زل ضوء الشمس ضعيفًا للغاية، وكأن الوقت وقت الغروب، فسأل داليا عن الوقت بعد أن ظن أن ساعته قد تعطلت في يومهما السابق، ولكنها أخبرته أن الساعة بالفعل قد تجاوزت التاسعة والنصف صباحًا.
فنطق عامر في دهشة قائلًا: كيف هذا؟!

أجابته داليا: لا أجد تفسيرًا لهذا، ولكني أشعر بقلق شديد يجتاح داخلي منذ أن وضعت قدمي بتلك الأرض، فنهض عامر وأمسك بيد داليا وقال بجدية بالغة: سنغادر تلك الأرض الآن ونعود من حيث جئنا، هيا بنا انهضي واتبعيني، سنعود الآن للكهف الذى عبرنا منه إلى هنا قبل أن يعثر علينا أحد -إن كان كلام تلك الفتاة صحيحًا من الأساس.

وعلى الفور غادرا، في طريقهما إلى الكهف الذى عبرا منه، وبعد مرور القليل من الوقت أصبح الكهف في مجال رويتهما، إلا أنهما لم يستطيعا الاقتراب منه! فيبدو أن الأوان قد فات.

كان هناك الكثير من الجنود المحيطين بالفتحة التي دخل منها عامر ودااليا، يمسكون بمشاعلهم ويبحثون حوله، ويتحدثون إلى بعضهم بلغة لم يفهماها، يبدو أن الفتاة كانت تقول الحقيقة.

ازدادت ضربات قلب داليا حين رأت الجنود الحاملين سيوفهم مقسمين إلى جماعات، كانت جماعة منهم تقف في ثبات بالغ حول فتحة الكهف وكأنها تحرسه، بينما كانت هناك جماعة أخرى تتفقد المكان بحثًا عن ما يلقبونه "بالمنتظر"، والذى هو فى نظرهم عامر، على الفور أمسك عامر بيد داليا بعد أن شعر برعشة جسدها خوفًا، ثم جذبها لينسحبا بهدوء قبل أن يراهما أحد من أولائك الجنود، فإن رآهم أحد من أولائك الجنود بتلك الملابس سيمسك بهما في الحال، لتكون تلك نهايتهم، عادا مسرعين إلى الكهف ليختبئا داخله بعد أن أيقنا أنه لا سبيل للعودة من حيث أتوا.

بالفعل انطلقا في طريقهم إلى الكهف الذي دلتهم عليه الفتاة، ولكن عامر توقف قبل الكهف بمسافة قليلة، فسألته داليا عن سبب توقفه.

فنطق عامر بصوت منخفض: لا يجب أن نثق بأحد بهذه الأرض، حتى تلك الفتاة، ما أدراك أنها حقًا ذهبت لتحضر لنا زيًا يشبه زيّهم؟ أليس من الممكن أن تكون قد ذهبت لتحضر الجنود ليمسكوا بنا ونحن ننتظرها هنا كالبلهاء؟

فأجابته داليا: نعم، ولكن ماذا نفعل يا عامر؟

كان عامر ذكيًا حقًا، فقد اقترح على داليا أن ينتظروا الفتاة على مقربة من الكهف، بمكان يمكنهم من رؤيتها دون أن تراهم هي، فأن عادت وحدها إذًا فهي كانت تقول الحقيقة، ويعود كلا من عامر وداليا إلى الكهف، وإن عادت ومعها الجنود وقتها يفران هاربين دون أن تراهم الفتاة، فوافقته داليا على هذه الفكرة، وعلى الفور اختبئا بالقرب من الكهف، لم يمر وقت طويل قبل أن تعود الفتاه بمفردها ودلفت إلى الكهف، وقتها اطمأن عامر وداليا لتلك الفتاة وخرجا من مخبئهما ثم دلفا إلى الكهف مرةً أخرى، ليجدا الفتاة جالسة داخل الكهف، واضعة رأسها بين قدميها وتبكي بكاءً شديدًا، وحين رأتهم سألتهم متلهفة: أين كنتم؟ ظننت أن الجنود قد أمسكوا بكم؟

سألتها مارين في دهشة: ولهذا تبكين؟! أنت حتى لا تعرفينا أيتها الفتاة!

فقالت الفتاة بعد أن هدأت قليلًا: فلتسرعوا الآن وتبدلوا ملابسكم تلك، وسأخبركم بكل شيء تودون معرفته، وأعطت داليا فستانًا بغطاء رأس، ثم أخبرتها أنه من الشائع هنا أن ترتدي الشابات مثل تلك الفساتين، ثم نظرت إلى عامر وقالت له: أحضرت لك بنطالًا وقميصًا وحذاءً يشبه أحذيتنا، ارتدي كلا منهما زيّه الجديد، ثم أخذت الفتاة الحقائب التي كانا يحملان بهما أغراضهما التي أتيا بها من الخارج وقامت بوضعها على الأرض ثم أحرقتها.

فصرخ بها عامر قائلًا: لماذا؟

فأجابته الفتاة قائلة: حتى أخفي أي دليل يثبت أنكم غرباء.

فنطق عامر غاضبًا: لقد طفح الكيل أيتها الفتاة، أريد أن أفهم ما يحدث منذ أن دخلت تلك الأرض الملعونة.

ردت الفتاة هادئة: حسنًا سيدي، سأخبرك بكل شيء، وصمتت قليلًا قبل أن تبدأ حديثها قائلة: اسمي مارين، وأنا هنا من أجل

مهمة كلفت بها أنا وتسعة عشر أشخاص آخرين من أبناء بلدتي، في بلدتنا يسموننا "الراصدون"، ومهمتنا هي إيجاد المنتظر متى يظهر، وحمايته حتى وصوله إلى طنجار قبل أن يمسك به جنود قارادوس ويقتلوه كما فعلوا مع آخر شخص دخل ميجورا من العالم الخارجي.

فسألته داليا: وهل دخل أحد إلى هنا قبلنا؟

فأجابتها مارين: نعم، أذكر أن هذا كان في عامي الأول بقارادوس حين دخل أحدهم من العالم الخارجى إلى ميجورا، ولكن كان حظه سيء، فقد أمسك به جنود قارادوس قبل أن يصل إليه احد من الراصدين، بعدها تم قتله عن طريق سلخ جلده حيًا.
تبدلت تعابير وجه داليا إلى الخوف والزعر.
وقالت: هل سيصبح هذا مصيرنا إن أمسك بنا الجنود؟

أجابتها مارين في أسى: نعم.

فسألها عامر غاضبًا: ولماذا فعلو به هذا وهو لم يؤذهم حتى؟

أجابته مارين: لأنهم كانو يعتقدون أنه المنتظر.

سألها عامر: ولماذا يخاف أهل قارادوس من المنتظر؟

اجابته مارين: هناك نبوءة يعلمها أهل قارادوس جميعهم، نصت تلك النبوءة على أن هناك شخص ما سيأتي من الأعلى وسيكون له شأن عظيم في تحقيق حلم طنجار، على يده سيخرج أهلها من الظلام ليروا الشمس للمرة الأولى، حتى ينالوا حقهم في أن يصبحوا جزءًا من العالم بالأعلى، هذا الشخص هو ما أسميناه "المنتظر".

سألها عامر: ولماذا لم تبحثوا عن البوابة وتخرجوا؟

أجابته مارين: السبب الأول هو أننا لا نعرف أماكن البوابات، أما السبب الثاني هو أن قارادوس لم تكن لتسمح لنا بالخروج من ميجورا، وستحاربنا بكل ما أوتت من قوة، فهم يخشون أن تظهر ميجورا إلى العالم الخارجى مجددًا.

سألها عامر متعجبًا: ولماذا تخشى قارادوس أن تظهر ميجورا إلى العالم الخارجي وتصبح جزءًا من هذا العالم؟

فأجابته مارين: هي قصة طويلة، ولكن يجب أن تعلمها، بعدها نهضت مارين واتجهت خارج الكهف وأشارت إلى داليا وعامر بأن يتبعوها ثم وقفت على حافة بالقرب من الكهف وأشارت إلى الأسفل وقالت:

_ تسمى تلك الأرض بأرض ميجورا، أشعة شمس نهارها ضعيفة للغاية، كأن هناك ما يحجب آشعة الشمس من الوصول إلى تلك الأرض، وأقصى ما تبلغه أشعة الشمس هي الأطراف العلوية لتلك الأرض، ما جعل أشد ساعات نهارها إضاءة بالكاد تشبه وقت الغروب بالعالم الخارجي، أما ليل تلك الأرض فهو السواد بعينه، ظلام دامس تنعدم فيه الرؤيا تمامًا، لولا المشاعل العملاقة في كل بقعة من بقاع تلك الأرض لصار أهلها كالعميان ليلًا.

ثم أكملت حديثها قائلة: تنقسم ميجورا إلى ثلاث مدن كبرى "قارادوس، والتى تعد أقوى المدن الثلاث وأكبرها، وسكريل وطنجار " منفصلين عن بعضهما البعض، ولكل مدينة حاكمها الخاص وقوانينها الخاصة التى تحكمها، منذ قرون كانت الثلاث مدن أرضًا واحدةّ تسمى ميجورا، إلى أن دخلها أولائك الجنود من عالمكم الخارجى، لا نعرف من أين أتوا وكيف دخلوا، وفعلو بها وبأهلها أفعالًا وحشية، وأذاقوها من العذاب ما لم يقوى عليه أهلها لأكثر من خمس وعشرون عامٍ كانت الأصعب فى تاريخ ميجورا على مرور عصورها، ولكني علمت فيما بعد، من يكونون هؤلاء الجنود ومن أين أتوا وذلك بفضل الأوراق التي وجدتها داخل حقيبة الشخص الذي دخل ميجورا قبلكم وتم سلخه فبعد أن أمسك به الجنود ذهبت إلى المكان الذي كان يختبئ به لعلي أجد شيئا يفيدني فوجدت حقيبة بها بعض الأوراق المكتوبة والتي كانت تحتوي على الكثير من المعلومات عن تاريخ

ميجورا التى يبدو أنه كان قد جمعها قبل أن يأتي إلى ميجورا فوجدت بتلك الأوراق إجابات للكثير من الأسئلة التي كانت عالقة بذهني وكنت لا أجد لها تفسيرا فعلمت أن ميجورا تم اكتشافها على يد أحد الجنود الرومانيون في القرن الرابع الميلادي حيث توجد في صحراء مصر الغربية أسفل احد الوديان الصخرية العميقة جدا والذي تحده من جميع الجوانب مساحات شاسعة من الرمال المتحركة مما جعل من المستحيل إمكانية الوصول إليه من داخل الصحراء.

كان البدو والرحالة قديما يجتنبون عبور تلك المنطقه نظرا لتحرك رمالها بطريقة أشبه لموج البحر ولقدرتها على ابتلاع أي جسم مهما كان كبيرا مما يجعل نسبه النجاه فيها معدومه كما ساعد تتداخل الحواف الصخرية الكبيرة من الأعلى فى اخفاء هذا الوادى من الأعلى حيث تظهر هذه التداخلات من الأعلى كأنها شق أو شرخ أرضي هائل؛ لكن تلك التداخلات الصخرية حجبت جزء كبير من أشعة الشمس من الوصول إلى الأسفل فبات جزء صغير جدا من أشعة الشمس يتسلل الى الاسفل بالكاد يغطي الجزء العلوي من ميجورا؛ ولكنه لايستطيع الوصول إلى سكانها في الأسفل حيث يعيشون.

أما حديثا فقد أصبحت تلك منطقة محظورة لدواعٍ أمنية وأيضا من الأشياء التي ساعدت على إخفاء أي أثر يدل علَى وجود حياة

أسفل ذلك الوادي هى تداخل حواف ذلك الوادي الصخري من الأعلى بطريقة تجعل من الصعب رؤيه أى شيئ أسفله.

كما ذكر الكاتب أن الجندي اكتشفها أثناء تواجده فى احدى المناطق بالصحراء الغربيه حين دفعه الفضول لكي يدخل احد الكهوف وما ان دخله وسار به قليلا حتى وجده مدخلا الى مدينه كامله منعزله عن العالم الخارجى فسرعان ماغادر الكهف ليخبر زملائه وقادته ليصل الخبر للملك الرومانى آنذاك والذىوالذي أمر بعدم نشر هذا الخبر ثم أمر أحد قاداة جيشه بأن يجهز جيشا قويا لكى يحكمو قبضتهم على تلك المدينه وبالفعل أرسل القائد جواسيس تسللو الى داخل الكهف ليأتو بالمعلومات الكافيه لقائدهم لوضع خطة الهجوم؛ ولكن الجواسيس عادو مذهولين مما رأو فقد كانو يظنون انها مجرد مدينه صغيره لاكنهم اكتشفو وجود ثلاث مدن بالاسفل إضافة إلى أعدادهم الهائلة

التي لم يكن أحد ليتوقعها

أخبر القائد العسكري الملك الرومانى بما توصل اليه الجواسيس فأمر الملك بتجهيز جيش كبير جدا وقوى بما يكفى لإحكام سيطرته على تلك المدن الثلاث وبالفعل عبر جنود الجيش الكهف طوال الليل حتى عبر آخر جندي في الجيش مع آخر ساعة في الليل لينقضو على المدن الثلاث ويحكمو السيطرة

عليهم بعد ان احرقو الكثير من البيوت وقتلو الكثير من سكان المدن الثلاث حيث لم يفرقو بين رجل او امرءه او طفل او شيخا فقد كانو يقتلون كل من يجدونهم في طريقهم.

بعدها أمر الملك بعدم مغادره جنود الجيش تلك المدن وان يكملو ما تبقى من عمرهم بها يفعلون ما يحلو لهم بها وليتصدو لأى محاوله من اهلها للتمرد عليه ليضمن عدم انتشار أي خبر عن اكتشاف تلك المدن حتى لاتظهر للعالم وامر بقتل كل من رفض من الجنود واصبح لايعلم بأمر تلك المدن الا هو وبعضا من حاشيته وجنوده الذين عاشو فيها حيث استطاع بدهائه أن يخفيها عن الأنظار.

بعدها عاشت ميجورا أكثر عصورها ظلاما فقد مارس هذا الملك وجنوده اكثر الافعال وحشيه تجاه اهلها وحولوها لمدينه الرزيلة الخاصة بهم فقد كان من حق اى جندى اغتصاب ما طاب له من النساء وقتل وتعذيب من اراد من أهل ميجورا ولم ينتهي الأمر عند ذلك الحد فقد تطور الأمر لعمل حفلات للتعذيب يحضرها الملك وحاشيته فقد كانو يتلذذون بمشاهدة عمليات القتل والسلخ والتمثيل بالجثث وتقطيع الأطراف كانت تلك الحفلات تقام كل شهر تزامنا مع زياره الملك وحاشيته كانت تلك الحفلات تقام بمبنى كبير بنوه من اجل هذ النوع من الحفلات وهذا المبنى لا يزال قائما إلى تلك اللحظه كما أمر الملك بحفر

بوابه أخرى لتستخدمهم فى نقل خيرات هذا البلد من ذهب وفضه وكل المعادن التى تجود بها أرضها.

ظل أهل ميجورا يعانو لاكثر من ربع قرن تحولو فيه الى عبيد يفعلون ما يأمرهم به أسيادهم حتى استطاع بعض شباب ميجورا ان يتحدوا سويا ويكونو جيشا صغيرا في سريه تامه واستطاعو ان يضمو جميع رجال المدن الثلاثه اليهم وقررو ان يضعو خطه كى يباغتو بها اولائك الطغاه فانتظرو حتى موعد الحفل الذى يحضره الملك وحاشيته كل شهر كعادتهم وانتظرو حتى نهايه الحفل حيث يكون معظم الجنود قد تمكنت منهم الثمالة، بعدها انقضو عليهم من كل الجهات وهزموهم شر هزيمه وقضو على الملك وحاشيته وجميع الجنود بعدها اغلقو البوابتين من الداخل واستطاعو اخفائها من الخارج ولحسن حظهم تزامن هذا مع انهيار الامبراطوريهطة الرومانية بعد الكثير من الحروب مما ساعد فى عوده ميجورا غير مكتشفه من جديد وعادت إلى سابق عصرها من جديد بعيدا وانضم الثلاثه مدن وتم تنصيب احد الجنود الاقوياء ممن شاركو فى الحرب ملكا وعينو والي لكل مدينه من أبنائها للثلاثه مدن ورسمت خرائط لاماكن البوابات.

تلك الخرائط كانت توضع فى قصر الحاكم على مر العصور وظل اولائك الجنود الذين كونو الجيش ابطال لمدنهم توروى

قصتهم للاجيال ومرت القرون حتى نسى أهل ميجورا ما حدث لهم على يد هذا الملك الطاغي ولم يعد أحد من أهلها يعلم بأماكن البوابات الا من خرائط بقصر الملك تحتوي على أماكنها.

سألها عامر: لم تفتح البوابات منذ ذلك الوقت ؟

مارين: فى الحقيقه فتحت مره واحدة؛ ولكن لا يعلم الكثيرين هذا فقد تم الامر فى سريه تامه حين امر احد الملوك بعد ان اغلقت البوابات بثمانية قرون بإرسال بعثه من الجنود الاقوياء فى مهمه اثرت كثيرا في مستقبل ميجورا حيث امرهم بجلب انواع عديده من الحبوب التى تستطيع النمو فى طقس مشابه لطقس ميجورا كما امرهم بجلب اكبر عدد يستطيعون جلبه من الكتب من مختلف الثقافات حول العالم فصالو وجالو بقاع الارض مشارقها ومغاربها وعادو بعد عامين ومعهم أكثر من ألف كتاب اضافه الى الكثير من الحبوب كما أنهم كان لهم الفضل فى ادخال سلالات جديدة من الحيوانات والطيور إلى ميجورا ومن بعدها اغلقت البوابات ولم تفتح الى يومنا هذا.

أكملت مارين حديثها قائله: اما عن الخرائط فقد ظلت هذه الخرئط محفوظه فى قصر الملك حتى حدث زلزال دمر معظم ميجورا وشمل هذا الزلزال قصر الملك بعدها اختفت تلك الخرائط للابد حتى من كان يعلم بأماكن وجود البوابات م ممن

عاصرو تلك الفتره ظل عددهم يتقلص عام تلو الاخر وقرنا تلو الآخر إلى أن أتى هذا اليوم الذى أصبح فيه الناس يعلمون بوجود البوابات ولكن لايعلمون أماكن وجودها بالتحديد.

بعدها عادت ميجورا إلى طبيعتها التى كانت عليها سابقا.

وظلت هكذا لعده قرون قبل ان تنقلب اوضاعها رأسا على عقب، حدث هذا حين فكرت جماعة من الشبان في طنجار بالبحث عن البوابات والخروج إلى العالم الخارجى الذى نحن جزء منه نتعلم منهم ومن تطورهم الكبير هذا وفور أن علم الملك بهذا الأمر أصابه زعر شديدا حيث تذكر ذالك العصر المظلم الذي عاشته ميجورا على يد من أتو من العالم الخارجى وما ذاقه اهلها من الم على يد اولائك الجنود ثم يأتى هؤلاء الشبان ويريدون أن يعيدو الكرره مره اخرى ويبدأو عصرا مظلم آخر.

على الفور امر الملك بأعدام اؤلائك الشبان ولكنه فوجئ بتأييد والي طنجار الشاب لفكره الشبان ورفض اعدامهم بل وانقلب عليه واستطاع ان يستقل بطنجار كمدينة مستقلة وبنى سورا أحاط به طنجار من جميع الجوانب وأصبحت مدينه منعزله بعدها وفي نفس العام قام والى مدينه سكريل بأعلان مدينته مدينة مستقلة.

فقاطعتها قائلة: بما أنكِ تقولين أن قارادوس هى أكبر المدن الثلاث واقواهم لماذا لم تحارب طنجار و سكريل ومنعتهم من الانفصال عنها؟

فردت قائلة: خشي ملك قارادوس أن يحارب جيش طنجار فيتحد معها جيش سكريل فيهزم وإن هزم فهذا معناه أن ملك طنجار سيقوم بالبحث عن البوابات ويظهرميجورا مرة اخرى للعالم الخارجى فقرر أن يجتمع بملك طنجار وملك سكريل ويبرم معهم عهدا لايخلفه احدا منهم وكان ذالك العهد ينص على أن لا يقترب احد من سكان المدن الثلاثه من أي بوابه ولا يقوم بالبحث عنهم مقابل موافقته على استقلال كلا من طنجار وسكريل وإن قامت أحد المدن بالبحث عن البوابات تتصدى لها المدينتين الاخرايين كان ذالك العهد يعنى مقتل حلم سكان طنجار بالخروج إلى العالم الخارجي؛ ولكن ملكها وافق على ذالك العقد لانه كان يدرك انه إن رفض سيتحد ملك سكريل وملك قارادوس ضده فآثر أن يوافق على هذا العهد.

بعدها صارت طنجار تعتمد على أبنائها اعتمادا كليا في كافة المنتجات وأصبحو ينتجو كل شيئ وصارو اكثر تطورا عن قارادوس وسكريل واهتمو ايضا بكتابه الكتب التى تتحدث عن العالم الخارجى وعن مختلف العلوم التى برعو فيها وبعد ثلاثه اعوام من استقلالها وذات يوم فوجئ الجميع بأن بطنجار قد

اغلقت ابوابها تماما واصبحت مدينه منعزله تماما لم تفتح بواباتها منذ ان وافقو على هذا العهد اما مدينه سكريل فكانت على الحياد فيما يخص البوابات لكنها وافقت على العهد في النهاية.

قاطعتها داليا قائلة: كيف تكونين خارج طنجار وقد اخبرتنا منذ قليل أن طنجار لم تفتح بواباتها منذ أن أغلقتها؟

أجابتها مارين قائلة: خرجت من باب في سور طنجار لايعلمه بوجوده إلا أهل طنجار صنع خصيصا ليعبر منه الراصدون ذهابا وايابا دون علم احد من قارادوس او سكريل وتابعت مارين حديثها قائلة لم يكن الغرض من بناء السور هو العزله كما تعتقد قارادوس وسكريل بل كان الغرض منه هو تطوير طنجار واستعدادها للخروج دون علم أحد حتى تكون على أتم الاستعداد للخروج حين يأتى المنتظر الذى سيساعدنا في تحقيق ما نحلم به منذ قرون كما أن حكام طنجار القدامى فقد فرضو على سكانها تعلم الغه العربيه حتى أصبحت اللغه الرسميه لطنجار منذ قرنين.

نطق عامر قائلا: وماذا عن قارادوس وسكريل؟

أجابته مارين قائلة: إنهم ما زالو يتحدثون باللغة الميجورية.

نطقت داليا : نعم.....لقد سمعت الجنود يتحدثون لغة لم أفهمها.

قالت مارين في فرحة عارمة: لاتدرون مدى الفرحة التى ستعم جميع ارجاء طنجار خلال الايام القادمه حين يعلمون أن المنتظر قد وصل وأن موعد خروجهم قد أصبح وشيكا اقسم أن الاحتفالات لن تتوقف في طنجار لأيام متواصلة ولاكن الشيء الذى لا أجد له تفسير حتى الان هو وجود داليا معك

مع أن النبوئة نصت على انك ستدخل طنجار وحدك !!!!!!!!!!

أجابها عامر قائلا: لأني لست " المنتظر " وصمت قليلا ثم تابع حديثه قائلا لست هذا الشخص الذى انتظرتموه طويلا دخلت أنا وداليا تلك الأرض الملعونة بمحض الصدفة حين وقع بين ايدينا اوراق تثبت وجود تلك الارض وساقنا فضولنا وحماسنا إلى هنا حتى نكون أول من اكتشفها لم أكن أعلم ما ينتظرني داخل ميجورا ولو علمت ان هذا سيحدث منذ البدايه وأني سأعلق داخلها لم أكن لأغامر بحياتي وحياة داليا منذ البداية .....

ردت مارين فى حزن شديد: ولاكنك أتيت من العالم الخارجى ..... أخبرني أنك تمزح سيدى ثم تساقطت الدموع من عيناها

قال عامر: آسف؛ ولكنها الحقيقة لا أريد أن أعلقك بأمل زائف صدقيني أنا لست المنتظر ولست طرفا في تلك الحرب من الأساس وكل ما أريده هو الخروج من هنا سالما.

ضحكت مارين بحرقة ثم قالت بصوت امتزج ببكائها: الخروج .....تريد الخروج ، أخشى أن هذا الامر بات مستحيلا فمنذ أن دلفت الى تلك الارض صرت جزء من تلك الحرب وستدفع ثمن دخولك الى ميجورا، سيمسك بكم الجنود عاجلا ام اجلا وتعلمون جيدا ماذا سيفعلون بكم ثم نهضت واتجهت الى الخارج وقالت لهم أنصحكم أن لا تغادرو هذا الكهف هو أأمن مكان يمكنكما الاختباء داخله وتذكرا جيدا كلما ابتعدتم عن هذا الكهف كلما اقتربتم من هلاككم من الآن عليكم أن تتولو أمركم بأنفسكم.

وكادت مارين تغادر قبل ان تصيح داليا قائلة: انتظري.....هل ستغادرين وتتركينا ؟
لانعرف احد يمكننا أن نثق به فى بتلك الارض غيرك عليك أن تساعدينا

نظرت إليها مارين بطرف عينها وقالت: نحن هنا من نستحق المساعدة ثم نظرت الى ملابسهم الملقاه على الارض واشارت الى داليا قائله من الأفضل أن تحرقى تلك الملابس أو تتركيها

ليراها الجنود ويمسكو بكم، ثم غادؤت وتركتهم فى صدمتهم صامتين شاردي الزهن يفكرون بمصيرهم تحاول عقولهم استيعاب ما اخبرتهم به مارين للتو حتى نطقت داليا قائلة: ماذا سنفعل الآن ياعامر؟

فلم يجيبها فهو حتى الآن يحاول استيعاب الامر.

بدأت داليا تبكى بكاء شديدا وتمتمت خائفه : انا السبب فى كل ما يحدث انا السبب فى وجودنا الان بتلك الارض كان يجب على أن أسمع كلامك منذ البداية وأن أكتفي بالمعلومات التي حصلت عليها.

سيمسك بنا الجنود وسنقتل لا محالة وكل هذا بسببى

احتضنها عامر وضم رأسها الى صدره بقوه ثم قال لها بثقه مصطنعة: لن نقتل يا عزيزتى سنحيا وسنخرج من تلك الارض قريبا واقسم أنى لن أدع أحد يمسك بسوء في هذه الأرض لطلاما كنت على قيد الحياة، أعدك بذلك.

بالطبع لم يكن يدور بذهن عامر أي طريقة للخروج من تلك الأرض وكنه أراد أن يطمئنها فحسب

مرت ساعات النهار واختفت معها أشعه الشمس وعم الظلام الدامس ارجاء الكهف والمنطقة من حوله لتنعدم الرؤية تماما، وبات عامر ودواليا لا يرون أي شيء من حولهما إلا أضواء المشاعل التي تظهر بعيدة للغاية في الأسفل داخل شوارع قارادوس التي لو علم أهلها بمكانهما لانتهى أمرهما في الحال، وأصبحا غير قادرين على مقاومة احتياجهما الشديد للماء والطعام فلم يأكلا أو يشربا منذ أن دخلا تلك الأرض وما من سبيل للحصول على طعام أو شراب

لطالما بقيا داخل الكهف فأدركا أن السبيل الوحيد لبقائهما على قيد الحياة هناك بالأسفل داخل قارادوس ولكن وجودهما داخل قارادوس فيه مجازفة كبيرة فإن أثارا ريبة أو شك أحدهم سيكون مصيرهم الموت لا محالة؛ ولكن فى النهاية كان القرار بالدخول إلى قارادوس حتميًا فقررا دخول قارادوس مع شروق شمس يومهم التالي.

بعدها غابت داليا فى نوم عميق بعد عناء يومها الأول بميجورا ظل عامر مستيقظا طول ساعات الليل يراقب المنطقة المحيطة بالكهف خشية أن يقترب أحدهم من الكهف إن نام، كانت داليا تستيقظ من نومها من حين لآخر يرتجف جسدها خوفًا فيمسك عامر بيدها ويطمئنها حتى تنام مجددًا، مرت الساعات واحدة تلو الأخرى قبل أن تبدأ أشعة الشمس بالتدفق إلى الأجزاء العليا من ميجورا، انتظر عامر حتى زادت أشعة الشمس من إضائتها

و أصبحت كافيه للرؤيا حتى يستطيعا السير وهبوط المنحدر ومنه إلى قارادوس، فأيقظ داليا من نومها واستعدا للرحيل وقبل أن يغادرا الكهف سمعا صوتًا لخطوات أحدهم يقترب من الكهف، مرت بضع ثوانٍ ازدادت معها دقات قلوبهم خوفًا قبل أن يظهر الشخص صاحب هذا الصوت.

لم يكن هذا الشخص إلا مارين التى ما إن رآها كل من عامر وداليا حتى تنفسا الصعداء وتعجبا من عودتها.

فسألتها داليا متعجبة: مارين؟! لماذا عدتي؟

أجابتها مارين قائلة: شعرت بالخجل الشديد لأني تركتكما وحدكما أمس ولم أعبأ بمصيركما في ميجورا أعلم أنه كان يجب ألا أترككما بمفردكما وأنتما لا تعرفان شيئًا عن ميجورا ولكن حين أخبرني عامر بأنه ليس المنتظر شعرت وكأن الدنيا توقفت بي ولم أدرِ ماذا أفعل ولا ماذا أقول أرجوكما اقبلا أسفي.

أجابتها داليا مبتسمة: لا عليكِ ياعزيزتي أستطيع أن أتفهم موقفك.

فسألتهم مارين مبتسمة: إذًا كيف كانت ليلتكما الأولى بميجورا؟

أجابتها داليا في أسى: لم أمُر في حياتي بليلة أقسى منها لقد قضيت الليل كله غارقة وسط مخاوفي ووساوسي أخشى أن أجد الجنود أمامي في أي لحظة، ما طمأنني حقًا هو وجود عامر بجانبي طوال الليل.

ثم صمتت قليلًا قبل أن تتابع قائلة: مارين هل لي أن أطلب منكِ شيئًا؟

ردت مارين: بالطبع يمكنك ياعزيزتي.

داليا: نحن فى حاجة شديدة للماء والطعام فمنذ أن دخلنا إلى ميجورا لم نشرب أو نأكل.

أخرجت مارين من حقيبتها التي كانت تحملها قارورة بها ماء و لفافة بها القليل من الطعام وقدمتهم لعامر وداليا.

وقالت: أحضرت لكما هذا الطعام والماء بعد أن قلت في نفسي أنكما ربما لم تحصلا على طعام منذ أن دلفتما إلى ميجورا وقد كان حدسي صحيحًا.

اقتربت داليا وتبعها عامر وأخذا الطعام والماء من مارين وبدئا يأكلان بشراهة كان الطعام عبارة عن القليل من اللحم والخبز غريب الطعم وبعض من ثمار الفاكهة، لكنه كان كافٍ لسد احتياجهم من الجوع.
بعد أن انتهيا من طعامهما وجدا أنه لاجدوى من ذهابهم إلى قارادوس ما دامت مارين قد عادت ومن الأفضل أن يؤجلا موعد ذهابهما إلى قارادوس حتى تجد عقولهم طريقة يستطيعون بها العيش داخل ميجورا ليتمكنا من العودة، بعدها اقترحت داليا على عامر بأن ينام قليلًا فهو لم ينل قسطًا من الراحة منذ أن دلف إلى ميجورا.
وافق عامر على هذا الإقتراح بعد أن اطمأن على داليا لوجود مارين معها فوجدها فرصة جيدة ليريح جسده من عناء اليومين السابقين فذهب وألقى بجسده في إحدى جوانب الكهف، بينما خرج كل من مارين وداليا ليتسامرا خارج الكهف.

جلست مارين وأسندت ظهرها إلى صخرة كانت تقبع خارج الكهف وبجوارها داليا، ثم نظرت داخل الكهف باتجاه عامر.

وقالت مبتسمة: يبدو مرهقًا للغاية.

أجابتها داليا وهى تنظر تجاه عامر: بالفعل فقد ظل مستيقظًا طوال الليل يراقب المنطقة المحيطة بالكهف ثم يعود ويجلس

بجانبي من حين لآخر، كنت أشعر بيده تتحرك برفق على شعري ما أشعرني ببعض الإطمئنان.

مارين: هو حبيبك، أليس كذلك؟

داليا : نعم.

مارين : يبدو أنه يحبك كثيرًا.

أجابتها داليا مبتسمة: أعرف ذلك، أتدرين يا مارين أنا من جعلته يأتي إلى ميجورا، لم يكن موافقًا على تلك الرحلة في البداية ولكن حبه لي كان هو الدافع لموافقته في نهاية الأمر.
خضنا رحلة شاقة داخل الصحراء وكدنا نضل طريقنا ولكنه لم يعبأ بذلك، كل ما كان يشغله هو أن يرانى سعيدة وأنا أحقق ما أتمناه .....
ليتني وافقته الرأي حين حدثني عن خطورة تلك الرحلة ما كانت لتصير الأمور على ما هي عليه الآن.

ردت مارين مبتسمة: أتمنى أن تعودا إلى موطنكما سالمين.

أجابتها داليا بصوت يغلب عليه الحزن: لا أعتقد أن هذا سيحدث،

منذ أن خطت قدمي أول خطوة بتلك الأرض انتابني شعور غريب... شعور لم أشعر به من قبل شعور أني لن أغادر هذا المكان أبدًا.

مارين : ستغادرين ولكن لا تفقدي الأمل ما دمتي حية ثم ابتسمت وربتت على يد داليا.

داليا : إن كنا سنتأقلم على الحياة داخل ميجورا حتى نستطيع العودة فكيف لنا أن نوفر لأنفسنا ما نأكله ونشربه؟

صمتت مارين قليلًا لتفكر ثم نطقت قائلة: ليس هناك حل سوى العمل أرى أن يعمل عامر لكي تحصلا على نقود تمكنكما من شراء احتياجاتكم؛ ولكن كيف يمكنه أن يتعامل مع أهل قارادوس وهو لا يعرف لغتهم حتى؟

داليا: صحيح .... أرى أن تلك مشكلة كبيرة قد يواجهها عامر إن فكر في العمل داخل قارادوس.

في تلك اللحظة ظهرت جماعة من الجنود فجأة على بعد خطوات من الكهف، توقف الدم بعروق داليا حين اقترب منهم الجنود ثم تحدث كبيرهم بصوته الغليظ بلغة لم تفهمها داليا ولكن مارين

أجابته بنفس اللغة ثم التفت إلى داليا وتحدثت إليها بتلك اللغة الغريبة فلم تفهم ماذا يريد منها ولكن خطر ببالها أن تصدر بعض الهمهمات وتتظاهر بأنها فتاة خرساء، نظر الرجل إلى مارين ودار بينهما حوار بتلك اللغة ثم توجه الجندي إلى الكهف وألقى نظرة سريعة داخله

ازدادت ضربات قلب كلا من مارين وداليا ولكن سرعان ما عاد الجندي بعد ما لم يجد شيئ ثم غادر هو بقيه الجنود.

دلفت داليا إلى الكهف مسرعة ومن خلفها مارين ليجدا عامر يخرج من بين شق كبير فى إحدى جدران الكهف بعد أن اطمأن لمغادرة الجنود

فسألته داليا متعجبة: كيف فعلت هذا ؟

فأجابها عامر: سمعت صوتًا لرجل يتحدث معكم بالخارج فاقتربت ومددت عيني خارج الكهف فرأيت الجنود يتحدثون مع مارين فاختبأت سريعًا قبل أن يدلفا إلى الكهف.

نظرت مارين إلى داليا وقالت مبتسمة: كانت فكرة ذكية بأن تتظاهري بأنكِ فتاة خرساء لولا تلك الفكرة لما تركنا الجنود.

داليا: ما الذي كان يريده هؤلاء الجنود؟

مارين: كانو يتفقدون المنطقة بحثًا عن المنتظر وسألوني من أكون فأجبتهم وحين سألك الجندي وأصدرتي تلك الهمهمات أخبرته أنكِ صديقتي وأنكِ خرساء ثم سألني إن كنت رأيت أحدًا مظهره غريبا بالقرب من تلك المنطقة فأجبته بالنفي ثم تفقد الكهف وغادر.

نطقت داليا والدموع تتساقت من عينيها: لن نستطيع العيش هكذا كيف يمكننا أن نحيا مهددين في أي لحظة، يحيط بنا الخوف من كل اتجاه وتتوقف قلوبنا كلما اقترب أحدهم من الكهف أو إذا سمعنا خطوات تقترب منا ولا أعتقد أن أولئك الجنود سيتوقفون عن البحث حتى يجدونا ويقتلونا كما فعلوا مع من أتى قبلنا

اقتربت مارين واحتضنت داليا ثم قالت لها: لاتقلقي ياعزيزتي سيكون كل شيء على ما يرام، لن يعود الجنود مجددًا.

ثم صمتت قليلا قبل أن تكمل حديثها قائلة: ربما كان مجيئ الجنود إلى هنا ذا فائدة كبيرة لنا.
سألها عامر متعجبًا: فائدة، أي فائدة تلك؟

مارين: لن يعود الجنود إلى تلك المنطقة مجددًا بعد أن بحثوا فيها ولم يجدو شيء فهذا يعني أن تلك المنطقة صارت آمنة يمكنكم المكوث بها دون قلق أو خوف، ثم نظرت إلى داليا
وقالت: وما فعلته أمام الجنود أوحى لي بفكرة يمكنها أن تكون الحل الأمثل لمشكلة العمل التي تحدثنا عنها منذ قليل.

سألتها داليا عن تلك الفكرة

فأجابتها مارين: منذ تلك اللحظة سيتظاهر عامر بأنه أصم أبكم، سأذهب إلى قارادوس وأبحث بين من أعرفهم عن عمل يليق به وسأخبرهم أنه أصم وأبكم وبتلك الحيلة يستطيع عامر أن يعمل بين اهل قارادوس دون أن يشك به أحد، ثم نظرت إلى عامر وقالت له يجب أن تكون حذرًا للغاية يا عامر وبقدر الإمكان حاول ألا تلفت الأنظار إليك.

لم ينطق عامر بكلمة ثم نظر إلى الفراغ أمامه وغاب في شروده لدقائق قليلة بعدها نطق قائلًا: أعتقد أنها فكرة جيدة رغم أن بها مجازفة كبيرة ولكن لا سبيل للعيش داخل ميجورا إلا بالحصول على عمل، عليك أن تعلميني الكثير عن طباع أهل قارادوس حتى لا أندهش من أي شيء يحدث من حولي فيكشف أمري.
بعدها جلسا ثلاثتهم وبدأت مارين تتحدث عن طباع أهل قارادوس وطريقة عيشهم وكثير من التفاصيل التي قد تفيد، كانا

ينصتان إليها في كل حرف تقوله إلى أن انتهت من حديثها نهضت وأخبرتهم أنها ستغادر لتذهب إلى السوق لتبحث عن عمل لعامر وأنها ستعود إليهما في يومهم التالي لتخبرهم بما وصلت إليه ثم غادرت.

بعد أن غادرت مارين نظرت داليا في عين عامر وسألته قائلة: هل أنت واثق مما ستفعله؟

عامر: بالطبع لا؛ ولكن لا نمتلك خيارًا آخر، إما أن أعمل بقارادوس أو نموت جوعًا.

حاولت داليا إقناعه بالتراجع عن تلك الفكرة التي ربما قد تعصف بحياتهم؛ ولكنه كان قد حسم أمره بالفعل فاستسلمت لقراره ثم قالت له: كن حذرًا ياعامر فليس لي بتلك الارض أحد سواك وأخشى أن يأتي يوم أجد فيه نفسي وحيدة داخل تلك الأرض غارقة وسط مخاوفي ولا أجد من أطمئن لوجوده ثم أمسكت بيديه وقالت بعينين لامعتين: عاهدني أن هذا لن يحدث.

رد عامر قائلًا: أعدك بذلك ياعزيزتي.

مر اليوم الثاني وأشرقت شمس يومهم الثالث واستيقظ كل من عامر وداليا من النوم، لم يمر الكثير من الوقت قبل أن تدلف

مارين إلى الكهف ومعها القليل من الماء والطعام الذي قد أحضرته لهما من قارادوس ثم تناولا فطورهما معًا وما أن انتهيا حتى أخبرتهم مارين أنها استطاعت أن تجد عمل يناسب عامر.

انفرجت أسارير عامر حين سمع مارين تقول أنها قد وجدت عملًا يناسبه فسألها عن طبيعة هذا العمل.

فأجابته مارين قائلة: ستعمل مع أحد التجار الأثرياء بقارادوس يأتي إليه أصحاب الحوانيت من جميع أنحاء قارادوس ومعهم عرباتهم الخشبية ليعودوا بها محملة بالبضائع ستعمل أنت كحامل للبضائع تنقلها من المخزن إلى العربات والعكس، أعلم أنه عمل شاق ولكنه سيجعلك في مأمن من الجنود فلن يستطيعوا الإقتراب منك مادمت تعمل مع هذا التاجر نظرًا لنفوذه وسلطته.

رأى عامر أن هذا العمل فرصة
كبيرة له فوافق على الفور وسألها: ومتى سأبدأ العمل؟

أجابته مارين: غدًا.

رد عامر قائلًا: جيد، إذًا أريدك أن تصطحبيني في جولة داخل قارادوس لأرى أهلها عن قرب أريد أن أعرف المزيد عنهم.

أومأت مارين برأسها وقالت: حسنًا لا مانع من جولة صغيرة.

"وأنا سآتي معكما" هكذا قالت داليا قبل أن تتحول نظرات عامر ومارين تجاهها.

فنطق عامر على الفور: لا مستحيل أن أسمح لك بالمجيئ معنا.

قالت مارين بهدوء: لاتقلق يا عامر بهذا الزي لن يشك بي أحد سيجعلني أبدو مثلهم أريد أن أرى قارادوس تلك عن قرب .....أرجوك

وبعد إلحاح طويل من داليا وافق عامر على أن يصطحبها معهما بعدها اتجهوا نحو المنحدر المؤدي إلى قارادوس وخلال الطريق لم تتوقف مارين من إعطاء النصائح لهما كأن لا يندهشا من أي شيء قد يروه داخل قارادوس أو أن ينطق أحدهم بكلمه وأن لا يلفت أي منهما انتباه العامة من حولهم

وبعد قليل من الوقت اقتربوا ليصبحوا على مشارف قاردوس.

عامر

كانت أول مرة أرى فيها ميجورا عن قرب خفق قلبى بشدة مع توغلنا أكثر داخل شوارعها كانت بلدة خيالية حقًا جميع منازلها تتكون من طابق واحد أو اثنتين وجميعها مبنية من الصخور ومنقوش عليها رموز ورسومات وكلمات تعبر عن حضارتهم للوهلة الأولى تشعر أنك من بنى تلك المدينة هم الفراعنة، كانت المشاعل العملاقة التي كنا نراها من الأعلى متواجدة فى كل مكان من حولنا.

لم أستطع أن أخفي دهشتي مما رأيت وبالطبع لم تستطع داليا أيضًا فكنا كلما رأينا شيئًا غريبًا أدهشنا نظرنا إلى بعضنا في دهشة تكاد أفواهنا أن تنطق لا إراديًا فنتذكر حديث مارين وتحذيراتها لنا، كنا نسير بين الناس تتقدمنا مارين أتبعها أنا وداليا التى ظلت ممسكة بيدى منذ أن دخلنا إلى قارادوس كنا نحاول ألا تلتقي أعيننا بأحد خشية أن ألفت انتباهه فيدقق فى ملامحنا.

كنا نسمع حديث الناس إلى بعضهم البعض بتلك اللغة الغريبة فتزداد دهشتنا أكثر وأكثر وبعد نصف ساعة تقريبًا من السير داخل البلدة بدأ الزحام يشتد، وبدأت أرى كثيرًا من الأشخاص يحملون البضائع فأدركت أننا اقتربنا أكثر من السوق الذى أخبرتنا عنه مارين، وبالفعل دقائق قليلة وكنا بالسوق كان له

بوابة خشبية كبيرة وجدران صخرية شاهقة الإرتفاع معلقة عليها فوانيس ذات شعلات.

بدأنا بالسير داخل السوق فرأيت عددًا كبيرًا من الحوانيت على جانبي الطريق المزدحم وكثيرٌ من الأشخاص الواقفين يحملون بضائعهم من مشغولات يدوية وأباريق نحاسية والمجوهرات والعطور والسجاد والأعشاب الطبيعية

كنت أسير بين الزحام ممسكا بيد داليا بقوة خشية أن نتوه ونتفرق بين الزحام حتى شعرت برعشة جسدها، فجأة فنظرت إليها فوجدتها متجمدة الملامح تحملق بجماعه من الجنود الواقفين على جانبي الطريق فسحبتها من يدها وابتعدنا عن تلك المنطقة بعد أن لاحظت مارين هي الأخرى ماحدث

كنا كلما سرنا قليلًا رأينا جماعه منهم فنبتعد عن تلك المنطقة كان عددهم كبير حقًا، لاحظت أنا ومارين التوتر والقلق الشديد البادیان على وجه داليا قبل أن تقول هامسة والدموع تتساقط من عيناها "أريد مغادرة هذا المكان حالًا " فغادرنا على الفور عائدين إلى الكهف.

وما إن وصلنا إلى الكهف حتى انفجرت داليا باكية وصرخت قائلة لن يتركونا ياعامر .....لن يتركونا .....هل رأيت كل

هؤلاء الجنود بالأسفل سيمسكون بنا لا محال .....هل رأيت كيف كان ينظر الناس لنا هل رأيت كيف كان الجنود يحدقون بنا لقد علمو أننا غرباء عن مدينتهم وسيأتو خلفنا ليقتلونا

كنت أعلم أن خوف داليا الشديد هو الذى جعلها تقول هذا وأن عقلها هو من هيئ لها أن الجنود كانو يحدقون بنا فقد رأيت الجنود كانت نظراتهم لنا طبيعية للغاية هي فقط كانت تحتاج إلى أن تهدئ قليلًا،
تحدثت إليها كي تطمئن: عليكِ أن تهدئي ياداليا لن يأتي أحد ليقتلنا كانت نظرات الجنود تجاهنا طبيعية وإن كانو قد شكو فينا لما تركونا نذهب دون أن يمسكو بنا

فحدثتها مارين هي الأخرى قائلة: وأنا أيضًا رأيت الجنود ونظراتهم تجاهكم ولم تكن نظراتهم غريبة وصدقيني إن كانو قد شكو بكم لما تركوكم لتغادرو أعلمهم جيدًا، أنتِ فقط تحتاجين إلى الراحة ياعزيزتي،
بعدها أخبرتها أنه من الأفضل لها أن تنام قليلًا حتى تهدئ فوافقت ثم طلبت من مارين أن تبقى بجانبها وتركتهما و خرجت لأجلس خارج الكهف، مر وقت قليل قبل أن تخرج مارين من الكهف وتجلس بجانبي بعد أن اطمئنت أن داليا قد غابت في نومها وتوقف جسدها عن الارتجاف خوفًا ثم قالت متعجبة: لا

أدري ما سبب هذا الذعر الذي أصابها لحسن حظنا أنه لم ينتبه لأمرنا أحد من الجنود

فقلت لها: أستطيع أن أتفهم سبب ذعرها الشديد هذا فبالرغم من أنها فى السادسة والعشرين من عمرها إلا أنها مازالت تعيش بداخلها طفلة صغيرة طفلة لا تستطيع مواجهة مشكلة بمفردها فهي لم تعتد على ذلك، في وطننا كنت أنا من يواجه مشاكلها بدلًا منها ولا أشعرها بشيء منذ أن أحببتها وهي في سن الثالثة عشر؛ ولكن ما نحن فيه الآن يجب علينا أن نواجهه معًا إن كان الأمر بيدي لذهبت للجنود كي يمسكو بي مقابل أن تعود هي سالمة؛ ولكن حتى إن أمسك بي الجنود لا أعتقد أنهم سيتركوها تعود

سألتني مارين متعجبه: تريد أن تضحي بحياتك من أجل أن تعود هي إلى وطنها!! ومن أجل مشكلة هي من أوقعتكم بها!! لم أرى في حياتى شيء كهذا!

أجابها عامر هادئًا: أتدرين يامارين كانت أفضل اللحظات التي مرت فى حياتى حين كانت داليا تأتي إلي كلما واجهتها مشكلة واثقة تمامًا أني أمتلك دائمًا الحل، إني أسعد كثيرًا حين أرى نظراتها تتحول من الخوف والذعر إلى السكينة والاطمئنان حين أخلصها من مشكلة واجهتها وأفضل أن أموت من أجل أن

أخلصها من مشكلة تواجهها كما اعتدت دومًا على أن أحيا خائنًا لثقتها بي

ثم سألتني مجددًا: آه لهذه الدرجة تحبها ياعامر؟

أجبتها وأنا أوجه نظرى داخل الكهف تجاه داليا النائمة: وأكثر.....

فسألتني: وهل أنت واثق من أنها ستكون بخير إن تركتها وحدها حين تبدأ عملك داخل قارادوس؟

فأجبتها واثقًا وقلت: لا تقلقي عليها ستكون بخير فور أن تستيقظ من نومها وستكون قد هدأت تمامًا وأعلم أنها ستجتاز شعورها بالذعر هذا وستعتاد حياتها الجديدة سريعًا طالما كنت معها؛
فنطقت مارين قائلة: أتمنى هذا

ثم همت لتغادر قبل أن تخبرنى أنها ستأتى مبكرًا لاصطحابى إلى العمل.

غادرت مارين وجلست بمفردي أفكر في ما أنا مقبل عليه إلى أن غلبني النعاس وغبت في سبات عميق، استيقظت حين شعرت بيد تتحرك برفق بين خصلات شعري ففتحت عيني لأجد داليا جالسة بجانبي خارج الكهف تتأمل وجهي وابتسمت حين رأتني قد فتحت عيني وقالت بصوتها الهادئ: صباح الخير ياعامر

لم تكن هي داليا التى رأيتها بالأمس كانت مبتسمة هادئة كما كانت دومًا فعلمت أنها أصبحت بخير وعادت إليها نفسها من جديد فأجبتها قائلًا: صباح الخير ياعزيزتى

ثم نهضت وجلست بجانبها ونظرت حولي فوجدت أشعة الشمس قد بدأت بالفعل تتخلل الأجزاء العلوية من ميجورا لتعانقها معلنة عن بداية يوم جيد يوم آخر داخل ميجورا لا أعلم ما يخبئه لي ولكن ما أعلمه جيدًا أنه سيكون مختلفًا تمامًا عن سابقيه، نظرت إلى داليا وسألتها: متى استيقظتي؟

فأجابتني قائلة: منذ حوالي ساعتين

فسألتها: ولماذا لم توقظيني؟

فقالت: أعلم أن لديك عمل شاق اليوم فلم أرد أن أوقظك حتى يستريح جسدك قليلًا

لم يقطع حديثنا لا صوت مارين حين أقبلت علينا تحمل معها بعض الطعام والماء كما اعتادت وقالت مبتسمة: صباح الخير

فقلت مبتسمًا أيضًا: صباح الخير

نظرت مارين إلى داليا وقالت تبدين بخير اليوم يا عزيزتي

فأجابتها داليا قائلة: آسفة بشأن ما حدث بالأمس.

ابتسمت مارين وقالت: لاعليك يادااليا لو كنت في نفس موقفك هذا لفعلت أكثر من ذالك ثم تابعت قائلة هيا بنا لنتناول فطورنا معًا فعلينا أن نغادر سريعًا حتى لا يتأخر عامر عن أول يوم له بالعمل

تناولنا أفطارنا سريعًا ثم نهضنا لنغادر سويًا بعد أن ودعت داليا وقبل أنا أغادر نظرت إلى داليا وأطلت النظر فوجدتها تبتسم وتقول لي لا تقلق ياعامر سأكون بخير فشعرت ببعض الأطمئنان عليها ثم غادرنا؛
وبعد قليل من الوقت كنا على مشارف قارادوس ثم اتجهنا إلى السوق الذى مررنا به بالأمس، توقفت مارين أمام إحدى الحوانيت الكبيرة وطلبت مني أن أنتظرها بالخارج ثم دلفت إلى

الحانوت وتحدثت مع رجل مسن كان يجلس داخل الحانوت ثم أشارت إلي بأن أتقدم نحوهم ففعلت، نظر إلي الرجل المسن ثم تحدث إلى مارين بعدها غادرت وكانت قد أخبرتني مسبقًا أنها ستمر لاصطحابى حين ينتهى وقت العمل؛
فور أن غادرت مارين صاح المسن بصوت عالي فأقبل إليه شاب قوي مسرعًا فتحدثا سويًا بعدها جذبنى هذا الشاب من يدي وسار بي قليلًا قبل أن يتوقف أمام عددًا من الصناديق الخشبية وحمل إحداها واتجه به إلى عربة ذات حصانين كانت تنتظر خارج الحانوت ووضع الصندوق أعلاها ثم أشار إليّ أن أكرر ما فعله ففعلت

وعلى مدار اليوم أتى الكثير من العربات وكنت أكرر مافعلت مع كل عربة تأتي، أحمل الصناديق إلى العربة وفور أن ينتهي العدد المطلوب من الصناديق يشير إلى الشاب بأن أتوقف فأتوقف ثم تغادر العربة وتأتى أخرى لأكرر ما فعلت، كان عمل شاق للغاية ولكن لم يكن أمامى خيارات أخرى، إن لم أعمل لن أستطيع العيش داخل ميجورا، كان هناك شابين أخرين يعملان معي ويشرف علينا الشاب القوي لكل منا عمله الخاص الذى يقوم به كان أحدهم يقوم بفرز الصناديق وفصلها عن بعضها أما الآخر فيقوم بتخزين البضائع الواردة داخل مخزن الحانوت، مر اليوم الأول ببطئ شديد كنت أنتظر قدوم مارين بشدة و من حين لآخر كنت أختلس النظر خارج الحانوت عساي أجد مارين

قادمة من بعيد لتعلن بقدومها إنتهاء هذا اليوم الشاق ولكن مرت الساعات واحدة تلو الأخرى قبل أن تنفرج أسارير وجهي حين رأيتها قادمة من بعيد تبتسم فأدركت أن موعد رحيلي قد أتى، دلفت مارين إلى الحانوت وجلست مع المسن وأنا أراقبهما من بعيد حتى أشار إلى المسن أن أتقدم نحوهم فتقدمت لأجده قد أخرج بعض العملات المعدنية ومد إلي يده مشيرًا إلى أن أخذهم منه فأخذتهم بعدها نهضت مارين وصافحت المسن وجذبتنى من يدى لنغادر الحانوت؛ ابتعدنا عن الحانوت أكثر فأخرجت العملات المعدنية التى أخذتها لتوي من المسن ووضعتها كلها بيدها وهمست فى أذنها قائلًا: هل تكفى تلك العملات لشراء طعام وماء يكفينا؟

فأومأت برأسها إيجابًا؛ وفي طريق العودة إلى الكهف دلفت إلى إحدى الحوانيت واشترت لنا الخبز والجبن بعدها توقفت أما حانوت آخر كان مالكه يشوي اللحم وابتاعت منه القليل ثم خرجت وتوقفت أمام حانوت آخر واشترت قارورتين زجاجيتين وذهبنا بهم لنملأهم من أحد الآبار المنتشرة بقارادوس بعدها مضينا في طريقنا إلى الكهف، وفور أن خرجنا من قارادوس وأصبحنا قريبين من الكهف استوقفتها وسألتها: كيف لتلك العملات القليله أن تكفى لشراء كل هذا؟

أجابتني وهي تتحاشى النظر في عيني وقالت: بالطبع تكفى ثم أخرجت ثلاث قطع معدنية وأعطتهم لي وقالت وهذا ما تبقى من

أجر يومك ثم أكملت سيرها وقالت أسرع يا عامر قبل أن يحل الليل، شيء ما بداخلى جعلنى أشعر أنها لا تخبرني الحقيقة؛
وصلنا إلى الكهف فوجدنا داليا تجلس خارجة تنتظرنا وما إن رأتنا حتى انفرجت أساريرها ونهضت من مجلسها وقالت:
اشتقت إليك ياعامر

فاحتضنتها وقلت: وأنا أيضًا اشتقت إليك

فسألتني: كيف كان يومك؟
تبدو مرهقًا

فأجبتها مبتسمًا: لا بأس مر بخير أخبريني أنتِ كيف كان يومك؟

فأجابتني قائلة: كان سيئ بدونك مرت الساعات ببطء شديد ولم يغادرني شعوري بالوحدة والملل إلى أن عدت فتبدل كل هذا فى ثوانٍ

فقاطعتنا مارين قائلة: لمَ لا نأكل وتكملا حديثكما لاحقًا

فانفجرنا في الضحك وتعالت ضحكاتنا أنا ومارين وداليا بعدها أكلنا الطعام سويًا وجلسنا نتسامر قليلًا ثم غادرتنا مارين وأخبرتني أنها ستأتي لتصطحبني كل صباح إلى أن أحفظ

الطريق إلى العمل وأُصبح قادرًا على الذهاب بمفردي، وفي صباح اليوم التالي أتت مارين لنذهب سويًا إلى قارادوس وقبل أن أغادر استوقفتني داليا وأخبرتني أنها اشتاقت إلى الكتابة وطلبت مني أن أحضر لها بعض الأوراق والأقلام حتى تجد شيئ تفعله خلال الساعات التي أقضيها بالعمل ثم ودعتنى وتركتها وغادرت بعد أن وعدتها أنى سأشتري لها ماطلبته مني؛ مر أكثر من شهر وأنا أذهب عملي صباحًا وأعود لأقضي الليل مع داليا وتزورنا مارين من حين لآخر، أصبحت أذهب إلى العمل وأعود وحدي بعد أن تأكدت مارين أني أصبحت أعرف الطريق جيدًا، باتت الأمور واضحة أمامنا حيث صرنا على يقين تام أننا لن نستطيع العودة إلى وطننا مجددًا على الأقل خلال تلك الفترة فما زال الجنود يجوبون أنحاء ميجورا ذهابًا وإيابًا بحثًا عن المنتظر كما أن داليا قد أخبرتني ذات مرة أن الجنود قد جائو أكثر من كره وبحثو بالقرب من الكهف ولكنها كانت تختبئ بعيدًا عن الكهف وتنتظرهم حتى يغادرون ثم تعود؛

أصبحت قلقًا على داليا أكثر وأكثر فبدأت أدخر بعض الأموال لأستطيع أن أستأجر بيتًا أعيش به أنا وداليا داخل قارادوس بعد أن علمت أن الجنود لا يبحثون داخل البيوت لأنهم يثقون بأهل قارادوس الذين ما إن يجدنا أحدهم سيهرع إلى الجنود حتى يحصل على المكافئة الكبيرة التي سيحصل عليها من يجد المنتظر أولًا كما أخبرتنا مارين؛

بدأت أعتاد تلك الحياة الجديدة التي اضطررت لأعيشها رغمًا عني، عملي بالنهار، جلوسي مع داليا ومارين بعد انتهاء وقت عملي حتى صارت أيامنا متشابهة إلى أن جاء هذا اليوم الذى تغير فيه كل شيئ للأسوء، كنت أحمل الصناديق هذا اليوم حين شعرت بحركة غريبة تحدث من حولي كأن شيء ما قد حدث داخل قارادوس نتج عنه حالة من الهرج والمرج توقف العمل وغادرت العربات دون أن أعلم السبب كما أن بعض الحوانيت أغلقت أبوابها شعرت بأن حدث كبير قد حدث هو السبب فيما أراه أمامى الآن كان الناس يتحدثون من حولى ولكني لا أستطيع فهم ما يقولون، لم أعبئ بما يحدث من حولي ولا بما يقوله الناس وجلست على كرسي داخل الحانوت ثم أسندت رأسي على طاولة كانت أمامي؛

نهضت وتحركت بين أهالي قارادوس الذين كانو يسيرون فى جماعات متجهين إلى مكان واحد واصلت السير بينهم حتى وصلنا إلى مبنى كبير يشبه مبنى كولوسيوم الذي بناه الرومان في ايطاليا وكانو يقيمون به المعارك بين السجناء والحيوانات وقتال المصارعين وكان يحتشد داخله الكثير من أهل قارادوس وجميعهم ينظرون لشيئ ما بالأسفل فى منتصف ساحته تقدمت بين الزحام لألقي نظرة إلى الأسفل، ولكني صعقت من ما رأيت كانت ثمة فتاة نائمة على طاولة في منتصف تلك الساحة ومكبله أطرافها دق قلبي سريعا واندفع الدم بعروقي حين تحققت من ملامح تلك الفتاة التى لم تكن إلا داليا تقدم إليها رجل ضخم يمسك

بيده آلة حادة ولوح بها فى الهواء فعلى صياح أهل قارادوس وازداد هتافهم ليرج أرجاء المكان ثم اقترب هذا الرجل الضخم من داليا اكثر ووضع تلك الآلة الحادة تجاه رقبتها فهدئت أصوات أهل قارادوس وعم السكون المكان إلا صوت واحد كان هذا الصوت هو صوتي حين صرخت باسمها صرخه اهتزت معها جدران المكان فتوجهت أنظار اهل قارادوس جميعهم تجاهي؛ لم يوقظني من هذا الكابوس اللعين إلا يد أحد الشابين اللذان يعملان معي وهي تهز كتفي لتوقظني لأجد نفسي نائما على الكرسي مسندًا رأسي على الطاولة أمامى فنهضت قبل أن يشير إلي بأن أخرج من الحانوت فخرجت ثم أغلق الباب وأشار إليّ أن أذهب ففهمت أنه سيغلق الحانوت مثل باقي الحوانيت التي كانت قد أغلقت أبوابها؛

عدت من عملى هذا اليوم ومضيت في طريقى إلى الكهف فلم أجد داليا تنتظرني بالخارج كعادتها فدلفت إلى الكهف سريعا؛ ولكني صدمت حين لم أجدها داخله ازدادت ضربات قلبي وخرجت أركض خارج الكهف أتلفت يمينا ويسارًا أبحث عنها في كل مكان وأنادي بصوت عالٍ لعلها تسمعني إن كانت قريبة ولكنها لم تجبني قلت في نفسي لعلها شعرت بملل فذهبت للسير قليلا وستعود سريعًا فانتظرتها خارج الكهف بجانب الصخرة التى اعتدت الجلوس بجانبها، لمحت ورقة موضوعة جانبي

وفوقها حجر صغير كأن داليا قد وضعته فوقها كي لا تطير بعيدًا فأمسكت بها وبدأت أقرأ ما هو مكتوب بها:

" إليك يا عامر أريدك أن تعلم جيدا أني أحبك ولم أحب غيرك طوال حياتي وأريد منك أن تسامحني؛ ما سأفعله الآن هو من أجل أن تعيش حياتك مطمئن ولكي أبعد عنك أعين الجنود لتعيش حياة آمنة،
لن أستطيع أن أكمل حياتي هنا لايغادرني شعوري بالذنب تجاهك ولا أستطيع أن أسامح نفسي لأني كنت السبب في مجيئنا إلى تلك الأرض الملعونة وعلمت منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها تلك الأرض أن نهايتي ستكون بها، ومنذ أن أخبرتنا مارين بقصة تلك الأرض أيقنت أنه لا سبيل للخروج منها وأن الجنود لن يتركونا حتى يمسكو بنا وإن كان على أحدنا أن يضحي من أجل أن يعيش الآخر بسلام فيجب أن يكون هذا الشخص هو أنا لأني كنت السبب فيما حدث، أعلم جيدا أن موتي لن يعيدك إلى وطنك مجددا؛ ولكن على الأقل تستطيع الآن أن تعيش مطمئن، أخذت هذا القرار منذ أول ليلة لنا بتلك الأرض، أتذكر ياعامر حين طلبت مني مارين أن أحرق ملابسنا التي جئنا بها من وطننا وقتها أحرقت ملابسك وحدك وتركت ملابسي وأخفيتها بعيدًا عنك، كنت أعلم أنه سيأتي اليوم الذى سأرتديها به مجددًا؛ ولكن ليس بوطني وإنما هناك بالأسفل داخل قارادوس أمام أعين جنودها؛

أريدك أن تسامحني ياعامر ولا تجعل موتي يذهب هبائا فلا تأتي خلفي فيمسك بك الجنود، اتركني أواجه مصيري الذى أستحقه، كنت خير العون والسند ومعك عشت حياتي مطمئنة لطالاما كنت تخلصني من أي مشكلة تواجهني وبالتالي، أنا سعيدة لأنه قد حان دوري لأخلصك من مشكلة تواجهك، ألقاك فى الجنه إن شاء الله "

داليا

كنت أقرأ الورقه وتتساقط الدموع من عيني بلا توقف وما أن انتهيت من قرائتها حتى شعرت أن الدنيا قد توقفت من حولي وصرت لا أصدق ما قرأت لتوي صرخت عدة صرخات متتالية صرخات اهتزت من قوتها سماء مجورا ثم جثوت على ركبتيي وانهمرت في بكائي.

مارين

كنت واقفة بشرفة منزلي حين سمعت جلبة تأتي من الأسفل دققت النظر فوجدت الكثير من جنود قارادوس وأهلها الملتفين حول شخص ما لم أستطع أن أتبين ملامحه ولكنى تجمدت وتقلص وجهي حين سمعت أحدهم يتحدث عن "المنتظر" فجال بذهني أن هذا الشخص هو عامر

هبطت الدرج مهرولة تنزلق قدماي، كان الحشد قد ابتعد حين هبطت فركضت خلفهم فى شوارع قارادوس المحتشدة أهلها اصتدمت بهذا وذاك دون أن ألتفت لايشغل بالي سوى أن أرى إن كان هذا الشخص هو عامر أو لا، اقتربت أكثر وأكثر ومع كل خطوة كنت أخطوها تجاهه كانت تزداد معها ضربات قلبي؛ ولكني صعقت حين رأيت المنتظر، لم يكن عامر كما توقعت في بداية الأمر بل كانت داليا، كانت ترتدي زيها الذي رأيتها ترتديه حين قابلتها للمرة الأولى، تسيل الدماء من كل جزء بجسدها، كان أهل قارادوس جميعهم كبيرهم وصغيرهم نسائهم ورجالهم يرشقونها بالحجارة من كل مكان كأنها سيل لا يتوقف وكانت المسكينة تحاول أن تحمي وجهها بيديها وتأتيها اللكمات عن يمينها وعن يسارها ومن كل اتجاه، لا يتوقف صراخها وبكائها، لم تأخذهم بها شفقة ولا رحمة ولولا أن الجنود أدخلوها داخل الصومعة الخشبية للعربة لقتلها أهل قارادوس، حاولت أن

أتمالك نفسي قدر الامكان حتى لا تظهر على وجهي علامات الحزن فيلاحظها أهل قارادوس ولكني لم أستطيع فتساقطت الدموع من عينى فمسحتها بيدي سريعًا ثم ركضت عائدة إلى البيت ودخلت غرفتي وألقيت بجسدي على سريري ثم غرقت في بكائي، أذكر أني قد بكيت من قبل كما بكيت تلك المرة كنت كلما أغمضت عيني تذكرت وجهها وهي تصرخ باكية وتحاول أن تحمي وجهها من الحجارة المنهالة عليها وأنا أقف عاجزة عن مساعدتها وكان جسدي يرتعد بقوة كلما دار بذهني ما سوف يحدث لتلك المسكينة بعد أن تم اعتقالها فمصيرها محتوم لا رجعه فيه ستقتل تلك المسكينة بكل وحشية لتدفع ثمن لخطئ لم ترتكبه ولا ذنب لها فيه وسط فرحة عارمة واستمتاع من قبل أهل قارادوس حين يروها تسلخ أمامهم ببطئ كما فعل بهم جنود الرومان قديمًا؛

نهضت من سريري مسرعه حين جال بذهني ما قد يفعله عامر حين يعلم بأمر اعتقال داليا وخشيت أن يدفعه حبه الشديد لها فيجعله يتصرف بحماقة فيعتقله الجنود هو الآخر وخشيت أيضا أن يعود إلى قارادوس للبحث عنها فيرى بعينه ما لن يقوى على تحمله فركضت مهرولة في طريقي إلى الكهف لعله مازال هناك وحين وصلت إلي الكهف وجدت عامر جالسا بأحد أركان الكهف مسندا ظهره على جداره واضعا رأسه بين ركبتيه يبكي بكاء شديدا ويهذي بالكثير من الكلمات جعلتي أعتقد أنه قد فقد عقله

فنطقت قائلة: عامر!

فلم يجبني وظل واضعا رأسه بين ركبتيه ولم ينظر إلي من الأساس

فجلست بجانبه ووضعت يدي على كتفه وقلت هادئة: عامر انظر إلي أنا مارين

فلم يجبني مجددًا، كنت أشعر أنه في عالم آخر غير واعٍ لما يدور من حوله فاقدا للزمان والمكان، ربما لو كنت مكانه لما تحمل عقلي تلك الصدمة، كنت أعلم أن كلماتي له لن تجدي نفعا ففضلت أن أصمت ثم جلست بجانبه فلاحظت أنه يحمل بين قبضة يده ورقه كان ممسكا بها بقوة فحاولت أن أسحبها من بين يده برفق دون أن تتمزق فتعجبت من قوه تمسكه بها كأنها جزء منه ولكنه تركها لي في النهاية كانت مبتلة وكأن عامر قد سقاها بدموعه ولكني فور أن قرأتها لم أستطع أن أتمالك نفسي انهالت دموعي أنا الأخرى بعد أن علمت أن داليا قد ضحت بحياتها من أجل أن يعيش عامر بسلام بعيدا عن أعين الجنود؛ حل الليل وساد الظلام من حولنا وهدأت الأصوات تماما إلا صوتا واحد .....صوت أنين عامر الذي لم يتوقف بكائه منذ أن قرأ تلك الورقة، عامر هذا الشاب القوي الذي لطالما كنت أتعجب من

قوته وتحمله لأشد الظروف بات ضعيفا منكسرًا كطفل صغير فقد عائلته كلها فأصبح وحيدا في عالمه هائما على وجهه لايعلم لنفسه وجهه؛ مرت ساعة الليل بطيئة ممتلئة بالكثير من الحزن والأسى والصمت لم يغمض لأحدنا جفن أو حتى ننطق بكلمة واحدة حتى أتى صباح اليوم التالي، كان عقلي قد أنهك من فرط التفكير فيما حدث في اليوم السابق فنهضت من مجلسي ثم اقتربت من عامر الذي كان لايزال جالسا فى مكانه لم يتحرك وجثوت على ركبتي أمامه ثم ربتت على كتفه وأخبرته أني سأعود إلى منزلي الغير ملابسي وأرتاح قليلا ثم أعود إليه مجددا في أسرع وقت، رفع رأسه ونظر إلي بلا مبالاه دون أن ينطق بكلمة؛ بعدها غادرت الكهف وعدت سريعا إلى منزلي، كنت مرهقة للغاية فدخلت غرفتي وألقيت بجسدي على سريري لأرتاح قليلًا بعد أن عشت يوم من أقسى الأيام التي مرت علي طيلة حياتي، كنت أحاول أن أنام قليلا ولكن يأبى عقلي أن يتوقف عن التفكير وكلما أغمضت عيني تذكرت داليا مجددا وهي محاطة بأهل قارادوس وتنهال عليها الحجارة من كل مكان فتنسال مني الدموع بغزارة، مر الكثير من الوقت وأنا على هذا الحال قبل أن يغلبني النعاس، استيقظت خلال نومي أكثر من مرة وفي كله مرة كنت أرى كابوس مختلف عن سابقه فنهضت بعد أن علمت أني لن أجد الراحة حتى في نومي، كان الليل على وشك الحلول حين ارتديت ملابسي سريعا ثم أمضيت في طريقي إلى الكهف بعد أن مررت علي السوق واشتريت بعض الطعام

من أجل عامر فأنا أعلم أنه لم يأكل شيئ منذ الأمس، وصلت الكهف فوجدته جالسًا بنفس مكانه كما تركته شاحب الوجه محدقة عيناه إلى اللا شيء لم تتبدل تعابير وجهه حين رآني ولم ينطق بشيء؛
فقلت بنبرة هادئة: صباح الخير ياعامر

فنظر إلي بعينه التي بدى عليها الحزن الشديد فجف مائها من كثرة البكاء ولم ينطق بكلمة فاقتربت منه وجلست أمامه ثم أخرجت الطعام وقلت له: أحضرت لك القليل من الطعام، أعلم أنك لم تأكل شيء منذ الأمس ولكنه هز رأسه رافضا الطعام

فآثرت أن لا أضغط عليه وتركت الطعام بجواره وقلت له: لن أضغط عليك ياعامر الطعام بجانبك تناوله متى شئت، حاولت أن أتحدث معه كثيرا ولكنه كان لايجيب، كنت أعلم أن حالته ستتحسن بمرور الوقت فلم أشأ أن أرهقه بحديثي اكتفيت بالجلوس بجانبه لقليل من الوقت حتي لا يشعر أنه وحيدا بهذا العالم بعد أن فقد داليا ثم غادرت؛
ذهبت إلى عامر فى اليوم التالي بعد أن مررت علي السوق واشتريت طعاما جديدا كما فعلت في اليوم السابق، وصلت الكهف وألقيت التحية على عامر فلم يجب مجددا واكتفى بالنظر إلي، نظرت إلى الطعام بجانبه فوجدته قد أكل جزء صغيرا منه

فأخرجت الطعام الجديد ووضعته جانبه وحاولت أن أتحدث معه ولكنه كان يكتفى بالنظر إلي دون أن يبادلني الحديث

مر أكثر من شهر على هذا الحال أذهب إلى الكهف صباحا ومعي طعام لعامر أجلس بجواره داخل الكهف ليعم الصمت أرجاء المكان أحاول أن أتحدث اليه ولا يجبني، أصبح ضعيفًا هزيلا يشبه الموتى في شحوبهم لا يأكل من الطعام إلا القليل ولا يغادر الكهف حتى أتى هذا اليوم حين دخلت عليه الكهف وكعادتي ألقيت عليه التحيه وكعادته لم يرد جلست بجانبه ثم قلت له بنبرة هادئة:

-إلى متى؟

إلى متى ستظل حبيسا لهذا الكهف؟
إلى متى ستظل على تلك الحالة؟
انظر لنفسك لقد أصبحت حالتك يرثى لها، لم أرك بهذا الضعف من قبل أعلم أن فقدانك لداليا ليس أمر هينا ولكني أعلم جيدا أنك يمكنك اجتياز الأمر ومواصلة الحياة

لم أصدق أذناي حين سمعت صوت عامر وهو يرد قائلا: أنتِ لا تعلمين شيء وصمت قليلا ثم نظر إلى الأسفل أمامه قبل أن يتابع حديثه بنبرة صوت يغلب عليها الحزن الشديد، وقال :لقد

وعدتها بأني سأعيدها إلى وطنها سالمة ووعدتها أيضا أنه لن يستطيع أحد المساس بها لطالما بقيت على قيد الحياة ولكني لم أستطع أن أووفي بوعودي لم أكن أستحقها تلك الملاك التي رزقني الله حبها لكني فشلت في أن تحافظ عليها لن تستطيعي أن تشعري بما أشعر به الآن ثم صمت قليلا قبل أن يتابع حديثه منهالة الدموع من عينه كالمطر وقال: أنا شخص كان يعلم أن حبيبته تقتل ويسلخ جلدها حيه من أجله بينما كان هو جالسا في كهفه حتى كاد يموت قهرا عليها لايمتلك شيء ليفعله سوى البكاء ولا شيء غيره لقد ضحت بنفسها من أجلي، كان يجب أن يحدث العكس كان علي أن أضحي أنا

بحياتى من أجلها ثم أكمل حديثه بنبرة غاضبة واحمرت عيناه ثم قال: اللعنة عليكم وعلى بلدكم اللعينة تلك .....تبا لكم جميعا

فوضعت يدى على كتفه وقلت له هادئة: اهدء يا عامر أنا مارين ..... أنا لست منهم أنت تعرفني جيدا!

ولكني فوجئت به يبعد بيدي عنه ثم نظر في عيني مباشرة وقال: لا تختلفين كثيرا عنهم، أكرهكم جميعا وأكره اليوم الذي وطئت فيه قدمي هذا البلد الملعون، اتركينى وشأني ومنذ تلك اللحظة لا أريد ان أراكِ مجددا

نزلت علي تلك الكلمات كالصاعقة وتساقطت معها دموعي فحدثته باكية: سأذهب ياعامر وأعدك أنك لن تراني مجددا؛ ولكن قبل أن أذهب أريدك أن تعلم شيء واحدا، لست هنا إلا من اجل وصية أوصتني بها داليا قبل وفاتها بأيام فقد أخبرتني أنها تشعر بأن نهايتها قد اقتربت وطلبت مني أن لا أتخلى عنك إذا أصابها مكروه لم أفهم وقتها ما كانت تنوي فعله وأنها ستضحي بنفسها من أجلك ولكني فهمت مقصدها حين علمت بما فعلت ولهذا السبب كنت بجوارك الأيام السابقة كما طلبت مني داليا

لم تتبدل تعابير وجه عامر وكأنه لم يأبه بما قلته ورد قائلا: أيا يكن اذهبي من هنا ومن الأفضل أن لا أراكِ مجددا.

نزلت عليّ تلك الكلمات كالصاعقة فانهمرت دموعي دون ارادتي وركضت عائدة إلى منزلي وألقيت بجسدي على سريري باكية أتسائل؛ لماذا تصرف عامر معي هكذا بعد كل ما فعلته من أجله هو وداليا؟
هل كنت أستحق ذلك؟

فحدثت نفسي بصوت عالٍ وقلت وأنا أمسح دموعى بيدي: لا بد أن أضع حدا لهذا، لن أذهب إليه ولن يراني مجددا.

مر أسبوع دون أن أرى عامر حاولت كثير خلاله أن أمنع نفسي من التفكير في مصيره؛ ولكن دون جدوى تسائلت كثيرا إذا كان ما فعلته صحيح أم أني كنت أنانية وكنت أقول في نفسي أنه الآن يعاني من صدمة شديدة وغير مدرك لما يقول، وأتذكر وصية داليا لي حين طلبت مني أن أهتم به من بعدها وأتساءل أيضا كيف حاله الآن بعد أن أصبح وحيدا تماما؟

وبعد كثير من التفكير أدركت أني كنت مخطئة، كان على أن أتحمله فما حدث له كان كفيل بأن يفقده عقله، وبعد الكثير من التردد فكرت في أن أذهب إلى السوق لعله عاد إلى عمله من جديد فذهبت وراقبت الحانوت من بعيد؛ ولكني لم أرى عامر بالداخل فدخلت الحانوت وسألت التاجر صاحب الحانوت عن عامر فأخبرني أنه لم يأتِ إلى العمل منذ فترة كبيرة فعدت إلى البيت مجددا وعزمت على أن أذهب إلى الكهف مع صباح اليوم التالي.

كانت الشمس قد بدأت في الشروق حين بدأت طريقي إلى عامر وأسرعت متجهة إلى الكهف أتسائل كيف سيكون رد فعل عامر حين يراني مجددا؛ ولكني حين وصلت لم أجده فقمت بالبحث عنه في المنطقة المحيطة بالكهف فلم أجده فقررت أن أنتظره لربما يكون قد غادر وسيعود عما قريب، مرت الساعات وغربت الشمس ولم يعد عامر، فقررت أن أعود إلى المنزل

تساورني الشكوك بما قد حل به، هل فعل بنفسه شيء أو أصابه مكروه وإن كان بخير فأين هو الآن؟

كاد رأسي ينفجر من كثرة الأسئلة التي تدور به حول مصير عامر فعقدت العزم أن أعود إلى الكهف مع شروق الشمس لعله يعود وبالفعل مع شروق الشمس كنت في طريقي إلى الكهف؛ ولكني لم أجده، توالت الأيام يوما تلو الآخر كنت أذهب إلى الكهف كل صباح أنتظر أن أرى عامر ولكن هذا لم يحدث وبعد مرور أكثر من شهر وأنا على هذا الحال أدركت أنني لن أرى عامر مجددا وعجز عقلى عن تفسير ما قد حدث له، فبما انه غير موجود بالكهف ولم يذهب إلى الحانوت فهذا لا يعنى إلا أن عامر قد غادر قارادوس؛ ولكن إلى أين .....فأنا اعلم أنه لا يستطيع أن يتحدث لغة أهل ميجورا من المستحيل أن يكون قد غادر قارادوس!!!!

إذا ما الذي حدث؟
هل أصابه مكروه؟
هل استطاع أن يعود إلى وطنه مجددا؟
كل تلك الأسئلة كانت تدور في رأسي دون أن أجد لها إجابة فحدثت نفسي وقلت: ستخبرني الأيام إن كنا سنلتقى مجددا أم أن الاوان قد فات.

عامر

بعد أن غادرتني مارين أصبحت وحيدا في تلك البلدة مشتتا لا أعلم لي وجهة ولا أعلم ما تحمله لي أيامي القادمة؛ ولكن أيا كان ما ستحمله بالطبع لن يكون أقسى مما مررت به خلال أيامي السابقة، كاد شعور الوحدة والحزن الذي كنت قد بدأت أستسلم لها يقتلني فبدأت أحدث نفسي وأفكر، إلى متى سأظل بهذا اليأس؟ يجب أن أستعيد ذاتي مرة أخرى فالحياة لن تتوقف لمواساتك حين يرحل من أحببت بل ستدور عجلاتها لتدهسك إن لم تكمل طريقك ومن منا يستطيع الوقوف أمام عجلة الحياة.

لم أجد تفسيرا لما فعلته مع مارين تلك الفتاة التي لم أرى منها إلا كل شيء طيب كانت تساعدني فحسب، وأنا رددت المعروف التى قدمته لي بالإهانة، بالطبع أصبحت ندلا في نظرها الآن، لقد تصرفت معها بحماقة

لابد أن أجدها وأصلح ما أفسدته ولكن كيف أجدها وأنا لا أعرف شيء عن قارادوس سوى سوقها؟
فصمت قليلا أفكر حتى خطر بذهني أن أذهب إلى السوق وأنتظرها فقد أخبرتني ذات يوم أنها تذهب إلى السوق كل يوم لتشتري احتياجاتها اليومية، فذهبت إلى السوق ليلا وجلست على

الأرض مسندا ظهري إلى الحائط وعزمت أن أبقى في السوق حتى أبصر مارين تعبر بين الزحام حتى لو انتظرتها عام كامل.

مر اليوم الأول وأنا أنتظر أن أعثر عليها كنت أتجول في السوق ذهابا وإيابا وأدقق في وجه كل من يعبر عساي أجدها بين المارة؛ لكنها لم تمر أو ربما مرت ولم أبصرها من شدة الزحام ومر اليوم الثاني والثالث ولم يحدث شيء جديد وأنا كما أنا أجلس في مكاني لا أفعل شيء سوى أني أنتظرها حتى كان يظن البعض أني مشردا فيأتي من يترك لي طعاما ومن يعطيني نقودا، فكنت أتظاهر أني أبكم حتى لا ألفت الانتباه إلي.

وفي مساء اليوم الرابع بينما كنت نائما على أحد جانبي الشارع أيقظني جندي بصوته القوي، يبدو أنه كان غاضبا ونظر إليّ بحدة ثم ثرثر ببعض الكلمات التي لم أفهمها و أشار إلى جنديان آخرين كانا واقفين خلفه فاقتربا مني وأمسكا بي ثم أخذاني معهما إلى عربة ذات صومعة خشبية كبيرة جدا تختلف كثيرا عن باقي العربات التي كنت أراها منذ أن دخلت ميجورا، كان يجرها زوجان من الأحصنة وكانت تقف على أحد جانبي الطريق ثم دفعاني إلى داخلها بقوة و أغلق أحدهم الباب فنهضت سريعا ونظرت عبر فتحة صغيرة في بابها فوجدت العربة تتحرك مبتعدة عن السوق وما زلت لا أفهم شيء مما حدث؛ ولكني

التفت سريعا لأنظر داخل العربة حين سمعت بعض الهمهمات من الداخل.

صدمت حين رأيت الكثير من الوجوه التي قد أضاءتها المشاعل الزيتيه المعلقة أعلى جوانب العربة كانت وجوه مشققة بائسة كساها التعب والفقر ممزقة ملابسهم، في الحقيقة لم أكن أختلف عنهم كثيرا فقد صرت أشبههم إلى حد كبير بعد أن طالت لحيتي وأيضا شعري وبرزت عظام وجهي خلال الآونة الأخيرة فأصبحت مشردا تماما مثلهم.

وبينما كنت أتفحص وجوههم توقفت العربة فجأة فنظرت من الفتحة فوجدت الجنود يقتربون من فتاة مشردة لا أعتقد أنها قد تعدت عامها العشرين وبالرغم من هيئتها التي كانت عليها من وجه مترب وملابس بالية إلا أنها كانت لا تزال تتمتع بقدر عالٍ من الجمال طغى على هيئتها المشردة، ثم وجدت الجنود يفعلون معها مثلما فعلو معي تماما، كانت الفتاة تصرخ وتتتوسل إليهم؛ ولكن دون جدوى إلى أن ألقى بها الجنود إلى داخل العربة ثم تابعت العربة تحركها من جديد بعد أن أغلق أحد الجنود بابها فنظرت إلى الفتاة فوجدتها قد جلست واضعة رأسها بين ركبتيها وبدأت تبكي بهستيريا شديدة دون أن يعيرها أحدا ممن تواجدو داخل صومعة العربة أية انتباه فعدت لأنظر مجددا من الفتحة الصغيرة الموجودة في باب العربة فوجدت أن العربة قد ابتعدت

عن السوق وأصبحت تسير في طريق صخري حاد التضاريس زادت معه اهتزازات العربة كثيرًا؛
ولكن ما أثار دهشتي حقا هو هذا الشاب الذى رأيته من بعيد يركض خلف العربة حافي القدمين يركض بسرعة شديدة، لم أستطع أن أتبين ملامحه من بعيد نظرا لقلة المصابيح الزيتية المتواجدة بهذا الطريق لم يكن يشغله حده الطريق الصخري أو حتى سقوطه عدة مرات أو تقرح قدماه بل كان ما يشغله هو اللحاق بالعربة، كان كلما سقط نهض سريعا وزاد من سرعته حتى صار قريبا جدا من العربة ثم صرخ بصوت عالٍ: أوياااان أوياااااان

لم أفهم ما الذي كان يقصده هذا الشاب بتلك الكلمة؛ ولكني فهمت حين نظرت إلى الفتاة الجالسة داخل العربة حين تبدلت ملامحها سريعا وتوقفت عن البكاء كأن شيء ما قد بعث في قلبها الطمأنينة فجأة بعد سماع صوت هذا الشاب فنهضت الفتاة سريعا ونظرت عبر الفتحة بعد أن أزاحتني بيدها دون أن تلتفت إلي حتى، ثم دارت محادثة بينها وبين هذا الشاب ثم عادت الفتاة مجددا لتجلس في أحد جوانب العربة ولكن بتعابير تختلف تماما عن تلك التي كانت تغطي وجهها قبل أن تتحدث مع هذا الشاب.

بالطبع لم أفهم شيء من تلك المحادثة؛ ولكن أثرها قد صار واضحا أمامي وضوح الشمس بعد أن صارت الفتاة مطمئنة

وعادت إليها روحها من جديد، عدت ونظرت عبر الفتحة؛ ولكني لم أجد الشاب.

فعاد إليّ شرودي من جديد وصار عقلي يحدثني بمصيري وما سيحل بي بعد قليل وبدأ القلق يتسرب إلى قلبي تدريجيا فجلست مسندا ظهري لباب العربة أفكر وأتفحص الوجوه من حولي أتأمل كل منهم على حدى فمنهم من كان لا يبالي بشيء ومنهم الخائف المرتعد ومنهم من يتحدثون إلى بعضهم وكأنهم في نزهة؛ ولكن ما أثار دهشتي حقا هي تلك الفتاة أعتقد أنها تدعى " أويان" حيث أدهشتني بابتسامتها وثباتها البالغ منذ أن تحدثت إلى هذا الشاب الذي جاء من بعيد يركض خلف العربة من أجلها، تمنيت لو كنت أستطيع تحدث لغتهم فأسألها سوأل واحد لا أكثر " أي منزلة تلك التي يمتلكها هذا الشخص داخل قلبك لتمكنه من أن يرسم على وجهك ابتسامة حتى وإن كنتِ غارقة في بحر من الكوارث، أي منزلة تلك التى يمتلكها هذا الشخص داخل قلبك لتجعل من رؤياه طمأنينة للقلب وسكينة للروح "

مر قليل من الوقت الذي غرقت فيه بين أفكاري قبل أن تتوقف العربة فنهضت لأنظر عبر الفتحة فوجدت الجنود الثلاثة قد سارو مبتعدين عن العربة فقلت في نفسي ربما ذهبو ليحضرو مشردا آخر وسيعودون في خلال دقائق نظرت من حولي لأتفقد المنطقة التي توقفت بها العربة فلاحظت أنها كانت تختلف كثيرا

عن باقي المناطق التي عبرنا بها فقد كانت تلك المنطقة وعرة للغاية بها الكثير من الصخور العملاقة والتضاريس المختلفة كما أنها كانت تفتقر للمشاعل الزيتية على عكس باقي المناطق مما جعلها أكثرهم ظلاما كما أن لم أرى بها إلا عدد قليل جدا من البيوت، وبينما كنت أتفحص المنطقة قطع تفكيري صوت أتى من أسفل العربة فنظرت لأجده يخرج من أسفل العربة؛

نعم كان هو الفتى الذي كان يركض خلف العربة وظننته قد توقف عن اللحاق بالعربة بعد أن خارت قواه، خرج الشاب من أسفل العربة ثم أخرج خنجرا كان يخبئه بين ملابسه وبدأ يحاول أن يفتح الباب وبعد الكثير من المحاولات استطاع أن أن يفتح باب العربة وسط دهشة جميع من كانو داخل العربة ماعادا شخص واحد لم يدهش؛ شخصا كان يثق أن هناك ثمة من سيأتي لأجله ولن يتركه حتى وإن كانت المسافات بينهم لا تدركها الأعين، شخص على أتم الاستعداد لمواجهة الدنيا كلها في سبيل من أحب، لم يكن هذا الشخص إلا تلك الفتاة التي تدعى "أويان " التي ما إن فتح الباب حتى ركضت تجاه هذا الفتى الذي احتضنها بقوة ثم أمسك بيدها وبدئا في الركض سريعا مبتعدين عن العربة قبل أن نغادر العربة سريعا أنا وكل من كان بداخل صومعتها لنلحق بهما قبل أن يعود الجنود ويمسكو بنا مجددا؛

لكننا فوجئنا بالجنود قد اقتربو من العربة عائدين وما إن رآنا أحدهم حتى صاح بصوت عالٍ ثم ركضا ثلاثتهم سريعا باتجاهنا فتفرقنا ليركض كل منا في اتجاه، استطاع الجنود الإمساك

بالكثير ممن كانو في العربة؛ ولكني استطعت أن أركض سريعا حتى ابتعدت مسافة كبيرة عن العربة ليظهر أمامي من بعيد الفتاة أويان والشاب، كانا لا يزالان يتابعان ركضهما فزدت من سرعتي حتى لحقت بهما؛ ولكن كان هناك جندي ما زال يركض خلفنا ابتعدنا عنه كثيرا إلا أنه كان لايزال يلحق بنا فخطر ببالي أن نركض بين تلك الصخور العملاقة ونختبئ بين ظلماتها فإن استمر ركضنا في هذا الطريق ذو الاتجاه الواحد حتما سيلحق بنا الجندي فصعدت أحد تلك الصخور وأشرت للفتاة والشاب بأن يتبعاني؛ لكنهم لم يعيراني أي اهتمام واستمرا في ركضهما أما أنا فركضت ثم اختبأت بين تلك الصخور وشعرت بالطمأنينة خاصة بعد أن اجتازني الجندي دون أن يراني وأنا بين الصخور واستمر في ركضه عبر الطريق الذي ركض به الفتاة والشاب، تنفست الصعداء وكدت أكمل ركضي مبتعدا عن تلك المنطقة قبل أن أسمع صرخات الفتاة فأدركت أن الجندي قد أمسك بهما، لا أعلم لماذا شعرت أن علي أن أذهب وأساعدهم، ربما لأني رأيت أن ما يحدث لهم مشابه لما حدث معي أنا وداليا؛ ولكن مع وجود اختلاف كبير كان هذا الاختلاف يتمثل في الفرق الشاسع بيني وبين هذا الشاب الذي لا أعرف اسمه حتى فهو رغم قلت حيلته إلا أنه فضل أن يمسك به الجنود وهو يحاول أن ينقذ من أحب على أن يعيش حرا بينما تسجن هي فاستحق حبها وثقتها، أما أنا فلم أكن أستحق أي شيء مما فعلته داليا من أجلي فقد كنت متخاذلا، فلم أفعل شيء سوي أني جلست أبكي في الكهف

تاركا داليا تواجه مصيرها بمفردها تتألم وتنازع من أجل نجاتي، كان هذا ما يحدثني به عقلي بينما كنت أركض تجاه صوت الفتاة وتتساقط من عيني الدموع فناديتها لأعرف مكانهما ليزداد بكائى حين وجدت نفسي أنادي بأسم"داليا" بدلا من أويان حيث أني قد نسيت كل شيء حين تذكرتها نسيت أني من المفترض أني أصم وأبكم ونسيت أن الجنود يبحثون عني فقط تذكرتها هي وحدها.

تابعت الركض حتى رأيتهم من بعيد كان الجندي واقفا ممسكنا بيده عصا حديديه غليظه ينهال بها على جسد الشاب الملقى على الأرض أمامه بينما كانت الفتاة تحاول أن تمنعه فحاولت أن تقترب من الشاب؛ ولكن الجندي هوى بتلك العصا على جسدها وركلها بعيدا فسقطت ثم نهضت وعادت إليه مجددا ولكنها حين نهضت لم تكن هي الفتاة أويان فقد تبدل وجهها تدريجيا حتى صارت هي داليا لم أتمالك نفسي حين رأيت الجندي ينهال عليها بالعصى لتسقط مجددا فأمسكت بصخرة وركضت بها نحو الجندي من الخلف لأهوي بها على رأسه فسقط فاقدا وعيه ثم أمسكت العصا الحديديه التى كان ينهال بها على الفتاة وهويت بها على جسده مرارا وتكرارا كمن أصابته نوبة عقلية عزلته عن الوجود من حوله فأصبح لا يشعر بشيء مما يدور حوله فاقدا لكل حواسه، بدأت الدماء تتناثر من جسد الجندي حتي كاد أن يموت بين يدي لولا يد الشاب التى أمسكت مني العصى فنظرت إليه لأستفيق من تلك الحالة التي كنت عليها واسترجعت

ماحدث خلال الدقائق القليلة الماضية قبل أن يجذبني من يدي لنتابع الركض قبل أن يأتي الجنديان الآخران ويمسكو بنا، ركضنا سريعا لعدة أميال ثم توقفنا لنستريح قليلا فوجدت الشاب يبادرني الحديث ببعض من الجمل التي لم أفهمها وبالتأكيد لن تفلح حيلتي في التظاهر بأني أبكم كما كنت أفعل دوما فربما سمعتني الفتاة حين كنت أنادي منذ قليل فلم أدري ماذا أفعل فصمت قليلا قبل أن أدير ظهري عنهما وأسير مبتعدا عنهما وسط دهشة منهم ونداءات كثيرة لم ألتفت إليها ومضيت في طريقي الذى لا أعلم له وجهة.

تركتهم وتابعت ركضى لا أعلم إلى أين أذهب ولا أين أنا، يحاوطني الظلام الدامس من جميع الاتجاهات وبدأت اشعر بحاجه جسدي إلى قليل من الراحه بعد أن أنهكه الركض لمسافات كبيرة، توقفت عن الركض بعد أن ابتعدت كثيرا عن المكان الذي تركت فيه الشاب والفتاة وبدأت تظهر أمامي من بعيد الكثير من المشاعل الزيتية العملاقة ففضلت أن أقضي ما تبقى من الليل في هذا المكان محتميا بظلامه الدامس وأذهب لأستكشف هذا المكان مع شروق الشمس لتنير بأشعتها القليلة الطريق إلى هذا المكان المجهول.

ألقيت بجسدي خلف إحدى الصخور وشعرت براحة كبيرة بعد أن هدأت أنفاسي وعادت دقات قلبي إلى طبيعتها بعد أن كاد قلبي

ينفجر من قوتها، وما هي إلا دقائق قليلة كنت خلالها قد غلبني النعاس ولم أشعر بشيء من حولي.

لا أدري كم من الوقت قد مضى قبل أن أستيقظ من نومي، تلفت من حولي لا أدري أين أنا ولا كيف أتيت إلى هنا؛ ولكن سرعان ماجال بذهني ما حدث قبل نومي وكانت الشمس أشرقت بالفعل فنهضت ووقفت أعلى صخرة عالية لأنظر إلى المكان الذي كانت تضيئه المشاعل بالأمس فوجدت أنها مدينة صغيرة تشبه مبانيها مثيلاتها بقارادوس إلى حد كبير ولكن كان الطريق إليها ليس السهل القريب كما رأيته بالأمس بكل كانت ظلمة الليل قد أخفت عني تعرجاته الكثيرة وإنحنائاته التي تجعل السير فيه أمر في غاية الصعوبة ولكن لم يكن أمامي خيار آخر فلن أعيش بين تلك الصخور بلا طعام وماء فقررت أن أسلك الطريق إلى تلك المدينة مهما كان الأمر شاق.

بدأت السير في هذا الطريق أعبر بين انحناءاته ونتوءاته الصخرية الحادة لأكثر من ساعة تقرحت خلالها قدماي قبل أن يظهر أمامي طريقا ممهدا مع انتهاء تلك التعرجات فسرت به قليلا لأجد نفسي على مشارف تلك المدينة.

بدأت تظهر أمامي الكثير من المنازل التي تشبه في بنائها منازل أهل قارادوس بالإضافة إلى أهلها الذين كانو لايختلفون كثيرا

عن أهل قارادوس، تابعت سيري بداخلها حتى شعرت بالتعب فجلست على أحد جانبي الطريق أمام أحد الحوانيت ثم نظرت حولي فوجدت الكثير من الحوانيت الأخرى كان المكان أشبه بسوق قارادوس الذي كنت أعمل به جلست أفكر فيما حدث فأنا الآن هاربا من المدينة التي تقطن بها مارين وفرصة التقاءنا مجددا قد
صارت شبه معدومة ولا أستطيع حتى العودة إلى هناك وليس بيدي شيء أفعله سوى أن أدعو الله أن يجمع بنا صدفة.

جلست أفكر فيما آلت إليه الأمور وقلت في نفسي أنه من الآن فصاعد يجب عليّ أن أتحمل مسؤولية نفسي كاملة فلن يساعدني أحد هنا وأنا لا أستطيع أن أثق بأحد وإن كان قد قدر لي أن أكمل بقية حياتي هنا فعلي أن أتدبر عملا أستطيع من خلاله سد احتياجاتي من مأكل وملبس ومأوى ولكن كيف سأجد عملا وأنا لا أستطيع التواصل مع أي شخص.....؟

مرت بضع ساعات وأنا مازلت جالسا في مكاني أفكر وبينما أنا غارقا بين أفكاري رأيت من يحدق بي من بعيد من داخل أحد الحوانيت بالجانب الآخر من الطريق كان عجوز أشيب يجلس على كرسي داخل إحدى الحوانيت وما إن نظرت إليه حتى أشار إلي بيده أن أتجه نحوه فترددت قليلا فوجدته يبتسم إلي ويشير مجددا أن أتجه نحوه طمئنتني ابتسامته قليلا، فنهضت وعبرت

الطريق متجها نحوه ثم دخلت ذلك الحانوت الصغير المتهالك، كان مليئا بالأرفف الخشبية المتراصة فوقها الكثير من الأواني الزجاجية المليئة بالأعشاب ذات الرائحة النفاذة فأدركت أنه تاجر يبيع الأعشاب.

نهض العجوز واقترب مني ونطق بكلمات لم أفهمها فصمت وأشرت له كي يفهم أنى أصم وأبكم؛ ولكنه ظل يتحدث وبعد دقائق عديدة من الاشارات يبدو أنه فهم ذلك حيث بدأ يستخدم لغة الاشارة ثم اتجه إلى طاولة في إحدى جوانب الحانوت وأحضر لي خبزا وقطعة جبن وأعطاهما لي وربت على كتفي، يبدو أنه كان يراقبني طوال الساعات الماضية وأدرك أني مشرد.

أخذت منه الطعام وابتسمت له ثم ربت على يده وانصرفت عائدا إلى مكاني مجددا، كنت أتضور جوعا فأسرعت في تناول طعامي الذى أعطاني إياه العجوز ثم أكملت ما كنت أفكر به ونفس السؤال الذي لم أجد له إجابة كيف سأتدبر شؤون معيشتي داخل تلك البلدة؟؟

خطر ببالي نقاء قلب ذلك العجوز فقلت في نفسي لمَ لا أذهب إليه وأحاول أن أقنعه بأن أعمل معه مقابل أن يوفر لي طعاما ويسمح لي بالمبيت ليلا في الحانوت؛ ولكن كيف سأتمكن من أن

أوصل إليه تلك الكلمات وأنا في نظره أصم أبكم فحدثت نفسي قائلا، لن أخسر شيء سأذهب إليه وأحاول وحين نظرت تجاهه رأيته يغلق باب حانوته ليغادر قلت في نفسي لا بأس سأذهب إليه في الغد فقد اعتدت المبيت بالشارع في الأيام الماضية ذهبت وجلست أمام باب حانوته حتى غلبني النعاس فنمت أمام بابه.

وفي الصباح الباكر لم توقظني إلا دقات على كتفي فنظرت بنصف عين فرأيت ذلك العجوز هو من يوقظني مبتسما فابتسمت له ونهضت مسرعا وساعدته كي يفتح باب الحانوت ودخل ثم تبعته إلى الداخل ثم وقفت أمامه صامتا وبدأت أشير إشارات كثيرة كي يستطيع فهم ما أريد لكني فشلت حتى خطر ببالي أن أجلب بعض الأواني الزجاجية وأنظفها وأرتبها وأنظف الحانوت وأنا أنظر إليه في البداية شعرت أنه لم يكن يفهم شيء مما كنت أفعل؛ لكن بعد برهة وجدته يشير إلي ويهز رأسه فشعرت أنه فهم مقصدي بعد عناء طويل، حقا إننا نمتلك من النعم الكثير؛ ولكن لا ندرك ذلك إلا إذا شعرنا بفقدانها.

انفرجت أساريري حين وجدت العجوز يهز برأسه إيجابا فأشار إلي بأصابعه الخمسة ثم أشار باصبع واحد ولكني لم أفهمه فتابع وكأنه لم يكترث لأمري ثم اتجه إلى باب في أحد أركان الحانوت وأشار لي أن أتبعه فدخلت لأجده مخزن صغير تسوده الفوضى مليئ بالأواني الزجاجية وجوالات كثيرة مليئة بالأعشاب ونظر

إلي فهززت رأسي إيجابا فأدرك أني فهمت مقصده بأن أرتب ذلك المخزن ثم انصرف وتركني أبدأ عملي كانت فرحة كبيرة تنتابني بعد حصولي على هذا العمل.

بدأت أنظف الأواني واحدا تلو الآخر وأرتبها حسب أشكالها وأحجامها المختلفة بعد أن نظفت المخزن من الأتربة الكثيرة التي كانت تغطيه بالكامل ثم رتبت أجوله الأعشاب حتى صار المخزن مرتبا بالكامل وما إن دلف العجوز إلى المخزن بعد وقت قليل حتى وجدت الدهشة والانبهار قد انطبعتا على وجهه غير مصدق لما رآه فلم يكن هو نفسه المخزن الذي تركه منذ أقل من ساعة بعدها خرجنا سويا إلى الحانوت فوجدته قد أحضر لنا طعاما وأشار إلي أن أجلس لأتناول الطعام معه لقد كان حقا رجل طيب، مرت الأيام وأنا أعمل مع هذا العجوز الطيب، كان يسمح لي بأن أبيت في المخزن بعد أن علم أني ليس لي مأوى وأصبحنا نفهم إشارات بعضنا البعض أسرع من ذي قبل وبدأ يعلمني الكثير عن الأعشاب وعن طبيعة عمله حيث كان يأتي إليه الكثير من المرضى فيبيع لهم وصفات كان قد أعدها مسبقا.

كان هذا العجوز يعاملني كإبن له وعلمت فيما بعد أنه يعيش في منزل قريب من السوق مع ابنه سلدون الذي كان تقريبا في نفس عمري وكان يزورنا في الحانوت من حين لآخر، أعتقد أنه لم يكن متقبلا لفكرة عملي مع والده ففي كل مرة كان يزورنا فيها

كنت أشعر بذلك في نظراته وسلوكه تجاهي فقد كنت أشعر ببعض التعالي والتكبر منه تجاهي حيث طردني أكثر من مرة لم يكن السيد أوليم متواجدا فيها؛ ولكن في كل مرة كنت أنتظر خارج الحانوت حتى يأتي السيد أوليم ويعيدني مجددًا بعد أن ينشأ بينهما خلاف ينتهي بمغادرة سلدون غاضبا.

كنت أعلم الكثير عن الأعشاب والتداخلات الكيميائية لمستخلصاتها عموما وبالرغم من وجود أنواع كثيرة من النباتات التى لم أكن أعرفها داخل ميجورا إلا أني كنت على علم بجزء ليس بالقليل عن باقي النباتات، فحدثت نفسي لما لا أستغل معرفتي الشديدة بالأعشاب في تطوير بعض وصفاته دون أن يدري وبالفعل بدأت في تعديل الوصفات التي كان يعدها العجوز بعد أن يغادر الحانوت فكنت أقضي الليل لأجري بعض التفاعلات وأضيف بعض الأعشاب على بعض الوصفات لأزيد من فاعليتها دون أن يدري هو بشيء وأدركت أن ما أفعله قد نجح بعد أن زادت أعداد المرضى بطريقة ملحوظة جدا خلال الثلاثة أشهر الماضية وخاصةً بعد أن زاد الطلب على الوصفات التى كنت أطورها دون علم العجوز وبعد أقل من عام صار ذلك الحانوت أكثر الحوانيت شهرة فى قارادوس بأكملها وأصبح أعداد المرضى أضعافا ماكان يأتي إلينا في أشهرنا الأولى وأصبحنا نتواصل سويا بشكل أسرع وصرت أفهمه ويفهمنى

أسرع إلا أن العجوز كان في دهشة من ازدياد أعداد المرضي المتوافدين إلينا.

إعتدت حياتي الجديدة بين المرضى والأعشاب بعد أن فقدت الأمل في عودتي إلى وطني مجددا وفقدت الأمل في العثور على مارين أيضا وكنت أحيانا أحاول أن أتسلل إلى سوق وسط المدينة لربما أقابل مارين صدفة وأنتظر عبورها في خلسة من ضباط الحراسة ولكني لم أصادفها يوما خلال هذا العام.

عام كان هو الأسوء في حياتي عام كنت فيه حبيسا لعقلي ولا شيء سواه، كانت تقتلني الوحدة الشديدة رغم الازدحام من حولي فخلال تلك الفترة كان أعظم كنز بالنسبة لي هو أن أتحدث إلى أحدهم ولو لدقيقة ليسمعني وأسمعه وأتذكر نفسي قديما قبل أن آتى إلى ميجورا حين كانت تصيبنى حالة اكتئاب فأتمنى أن أعيش في عزلة بمفردي بعيدا عن البشر ولكن ما أصعب العزلة حين تكون مجبرا عليها، كنت أتذكر مثل هذه المواقف فأبتسم رغم مرارة الأيام من حولي ولكن سرعان ما كانت تتلاشى تلك الابتسامه بعد أن أتذكر داليا، فبالرغم من مرور عام على فراقها إلا أنها لم تغب عن بالي يوما، كنت أتذكرها كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة فتتساقط الدموع من عيني بلا توقف وكانت أسعد الأيام التي تمر علي بتلك المدينة هي تلك الأيام التي تزورني

فيها بأحلامي فأستيقظ بابتسامة كانت قليلا ما ترتسم على وجهي منذ أن دخلت إلى ميجورا.

ولأول مره تبتسم لي تلك الأرض منذ أن دخلتها حين كنت أقف خلف العجوز داخل الحانوت أرتب بعض الأواني على الأرفف حين دلفت إلينا فتاه لم أتحقق ملامحها فكنت مشغولا في ترتيب الأواني وبدأت في الحديث مع العجوز وما إن نطقت حتى تجمد جسدي من الصدمة حين سمعت صوتها، ذلك الصوت اللذي أعرفه جيدا فالتفت إليها سريعا لأتجمد مكاني مجددا من المفاجئة، لم تكن كما رأيتها آخر مرة حيث بدى عليها المرض الشديد وما إن نظرت إلي والتقت عينانا حتى تجمدت هي الأخرى في مكانها قبل أن تتساقط بعض دمعات من عيناها وتنطق بصوت ضعيف يبدو عليه السقم الشديد:عامر؟؟!

مارين

عادت الحياة إلى طبيعتها من جديد وعدت وحيدة كما كنت دوما قبل أن أقابل عامر ودواليا فبالرغم من قصر المدة التي قضيتها برفقتهما إلا أنها كانت تعتبر الأفضل بين فترات حياتي فلم تكن أعوامي الثمانية عشر التي قضيتها داخل طنجار إلا مزيج بين الوحدة والفراق وعلى الرغم من مرور عامًا منذ آخر مرة قابلتُ فيها عامر إلا أنني مازلت آتي إلى الكهف كل يوم أمكث فيه لساعات طويلة أتذكر عامر ودواليا، وأتجول بين ذكرياتي وحياتي القديمة داخل طنجار، فلم أكن تلك الطفلة المدللة التي عاشت طفولتها في سلام بين أحضان أبيها وأمها، على العكس تمامًا.

ولدت في طنجار قبل ثلاثة وعشرون عامًا، كنت أول مولود لأبي وأمي، ماتت أمي بعد أن أتممت عامي الثالث وتبعها والدي في نفس العام من شدة حزنه على فراقها لأترك وحيدة في هذا العالم، طفلة لم تتعدى عامها الثالث دون أم أو أب أو حتى أقارب يعتنون بي، فلم يكن لي أي منهما أقارب ولم يهتم أحد لأمري سوى تلك المرأة العجوز التي أخذتني لأعيش معها بعد أن وجدتني أبكي على أحد جانبي الطريق، كانت تُدعى السيدة نهلان إهتمت بي كما لو كنت ابنتها، ولم يكن لها غيري وأنا أيضًا لم يكن لي غيرها بهذا العالم وحين أتممت السادسة من

عمري ألحقتني بدار العلوم بطنجار لأتعلم مثل باقي أطفال طنجار،

كنت الأكثر تفوقًا من بين طلاب صفي ولكنني فشلت في الانسجام معهم أو تكوين صداقات حتى، واكتفيت بتلك العجوز أم وصديقة وكل شيء بالنسبة لي، كانت دائمًا تشجعني على أن أواصل تفوقي؛ حتى أستطيع الإلتحاق بدار الرصد بعد أن أنهي الخمس سنوات الأولى لي بدار العلوم بطنجار حيث يتم إرسال الطلاب المتفوقين من دار العلوم بطنجار إلى دار الرصد، ومع نهاية السنة الخامسة بدار الرصد يتم اختيار الراصدون الذين سيتم إرسالهم إلى خارج طنجار والذين يجب أن تتوافر فيهم عدة صفات منها الذكاء الشديد وشدة الملاحظة إضافةً إلى إتقانهم لكل اللغات التي يتحدث بها أهل ميجورا ولهجاتهم المختلفة حيث تختلف، كل لهجة عن الأخرى فعلى الراصد أن لا يبدو مختلفًا عن سكان المكان الذي سيتم إرساله إليه سواء تم إرساله إلى إحدى قرى سكريل أو إلى إحدى قرى قارادوس يجب أن لايشك أحد بأمره، إضافةً إلى معرفته الجمة بشؤون معيشة كل قرى قارادوس وسكريل لهذا، يجب أن يتمتع الراصد بكل تلك الصفات فلن تكون مهمته سهلة خارج طنجار.

وفور أن يكمل الراصد عامه الخامس بدار الرصد يخضع لاختبار هو الأصعب من نوعه حيث يتم عرضه على كبار

أساتذة دار الرصد ليتم تقييمه وإن نجح في هذا الاختبار يستطيع الحصول على لقب الراصد ومن ثم يتم إرساله إلى إحدى القرى لمهمة هي الأسمى بطنجار وهي إيجاد المنتظر

بالفعل أنهيت الخمسة أعوام الأولى لي بدار العلوم بطنجار وأنا على رأس طلابها المتفوقين ليتم إرسالي إلى دار الرصد، أتذكر هذا اليوم جيدًا حين عدت إلى البيت مسرعة لأخبر أمي أنه قد تم اختياري للإلتحاق بدار الرصد، فتساقطت دموعها فرحة واحتضنتني بشدة، وعدتها يومها أنني سأحقق لها أمنيتها وأكون من الراصدين فقالت لي "أنا أثق أنكِ ستكونين أعظم راصدة ليس هذا فقط، بل أنتِ من ستجدين المنتظر وتدخلين به إلى طنجار ليحقق حلم طنجار الذي طال إنتظاره"

التحقت بدار الرصد وأنا عاقدة العزم على أن أكون الأكثر تفوقًا بين كل الطلاب، كان الأمر يحتاج إلى الكثير من الجهد والمشقة ولكنه كان يستحق، فلا توجد منزلة أعلى من منزلة الراصدون داخل طنجار، إضافة إلى أنني أردتُ أن أرد جزء ولو بالقليل من أفضال تلك العجوز نهلان التي أحسنت معاملتي كما لو كنت ابنتها حقًا.

كنت أقضي الكثير والكثير من الوقت أتنقل بين الكتب التي تخص صفي وحتى التي كانت تخص الصفوف الأخرى، لم

أترك سبيلًا يقودني إلى حلمي إلا وسلكته مهما كان شاقًا وكان كثيرًا ما يجول بذهني مشهدًا أطرق فيه باب البيت لأخبر أمي أنه تم اختياري لأكون راصدة ولكن تأتي الرياح بما لاتشتهيه السفن فقد توفت أمي خلال العام الثاني لي بدار الرصد لأترك وحيدة للمرة الثانية في هذا العالم بلا عائلة وبلا أصدقاء وحيدة تمامًا، فقد كانت هي الدنيا بالنسبة لي.

بعد أن ماتت السيدة نهلان تعمقت في عزلتي أكثر وأكثر وازدادت رغبتي أكثر وأكثر في تحقيق حلمها وبالفعل مع انتهاء السنة الخامسة لي بدار الرصد خضعت للإختبار النهائي واجتزته بتفوق لم يُرى له مثيل وأصبحتُ راصدة كما أرادتني أمي، أذكر أنني ذهبتُ إلى قبرها يوم أخبروني أنني أصبحت راصدة لأخبرها بذلك وبكيت كثيرًا لأنها لم تكن معي فى هذا اليوم الذي تمنته دومًا، وبعد مرور عامين أُرسلت أنا وتسعة عشر راصدًا آخر ليبدأ كلًا منا مهمته في القرية التي حُددت له، أتذكر هذا اليوم جيدًا حين أخبرونا أن يذهب كلا منا ليودع عائلته وأصدقائه حيث كان علينا المغادرة خلال يومين.

عاد الجميع مسرعين إلى بيوتهم إلا أنا، فقد اتخذتُ طريقي إلى قبر السيدة نهلان لكي أودعها الوداع الأخير ثم عدتُ إلى منزلي وجهزت حقائبي التي سأغادر بها طنجار، وبعد يومين ذهبت إلى دار الرصد فى الموعد المحدد لمغادرتنا.

كان كل راصد يأتي ومعه عائلته وأصدقائه المقربين ليودعوه الوداع الأخير حزنين على فراقه ويتمنون له النجاح في مهمته، إلا أنا فلم يكن لي عائلة أو حتى أصدقاء كنت أقف وحيدة أترقب وجوههم جميعًا حتى صاح صوت رخيم من خلفنا قائلًا: لقد حان وقت المغادرة.....أيها الراصدون ....حلم طنجار اليوم قد صار بين أيديكم وقد جاء دوركم اليوم لتكملو ما بدأه آبائكم وأجدادكم .... تعلمون جيدًا ما تكبده أهل طنجار من شتى أنواع العذاب من أجل تحقيق هذا الحلم الذي تعاقبت الأجيال على تحقيقه، بيدكم أنتم ستخرج طنجار من ظلمة القاع إلى آفاق النور، نثق بكم جميعًا ونعلم أنكم لن تخذلونا.

كانت تلك كلمات حاكم طنجار الذي تفاجئنا جميعًا بمجيئه وتوديعه لنا.

بعدها غادر كل المتواجدين من أهالي الراصدين وسكان طنجار الذين كانو قد جاؤوا ليودعونا ويدعمونا، بعدها أتت عربة خشبية كبيرة تابعة لقصر الحاكم واصطحبتنا إلى الطرف الشرقي من سور طنجار وفور أن وصلنا إلى السور أخبرنا الجنود أنه ثمة باب صغير جدًا لايتسع إلا لخروج شخص واحد سنخرج منه، يعلم أهل طنجار جميعًا بوجوده ولكن لا أحد يعلم مكانه تحديدًا.

أخبرنا الجنود أنه سيتم إطفاء جميع المصابيح الزيتية المحيطة بسور طنجار فى آن واحد لوقت قصير جدًا ليعم الظلام أرجاء المكان وأخبرونا أيضًا أنه خلال هذا الوقت القصير للغاية يجب أن نخرج جميعًا من هذا الباب الذي سيغلق مباشرة مع عبور آخر راصد، بعدها يركض كل منا سريعًا إلى المكان المحدد له، وأخبرونا أيضًا أنه حين يتم إطفاء المصابيح سترسل كلاً من قارادوس وسكريل جنودهما ليتفحصو المنطقة جيدًا ولكن وسط هذا الظلام لن يرانا أحد فيجب علينا جميعًا أن نبتعد عن السور قدر المستطاع قبل أن يصل الجنود فحين تضاء المشاعل من جديد، يجب أن تكون المنطقة المحيطة بالسور خالية كعادتها دومًا حتى لايشك الجنود أن شيء قد حدث عند وصولهم إليها.

وبالفعل صار الأمر كما كان مخطط له مسبقًا ففي غضون دقائق قليلة كان جميع الراصدون قد غادروا وأشعلت المصابيح من جديد واتجه كل راصد إلى وجهته التي حددت له، ذهبتُ أنا أيضًا إلى وجهتي، كانت إحدى قرى قارادوس والتي استغرق الوصول إليها أكثر من يومين وفور أن دخلت تلك القرية شعرت برهبة شديدة لم أشعر بها من قبل وبدأ قلبي يدق بقوة حين رأيت كل تلك الأعداد من البشر التي لم أرى مثيل لها داخل طنجار ولكنني سرعان ما استطعتُ التخلص من هذا الشعور وتابعت السير داخل القرية حتى وجدت حانة فدخلتها واستأجرت غرفة قضيت بها أُسبوعي الأول بتلك القرية إلى أن تمكنت من شراء

بيت صغير لأعيش فيه مقابل قطعة من الماس الذي أعطانا إياه الجنود قبل أن نغادر طنجار حيث أخبرونا عن شغف أهل قارادوس وسكريل بالماس وأنه ذا قيمة عالية عندهم وأخبرونا أيضًا أن نبتاعه بالكثير من المال الذي سيكفينا لمدة عام على الأقل حتى يتدبر كل راصد أمره في القرية التي أرسل لها.

كان حظي جيدًا تلك المرة فقد استطعت أن أحصل على وظيفة بعد أقل من شهر لي بتلك القرية حين ذهبت لأشتري فستانًا جديدًا من إحدى حوانيت الملابس، كانت تمتلكه سيدة أربعينية ممشوقة القوام ويبدو عليها الوقار البالغ كانت ترتدي فستانًا أنيقًا مصنوع من أجود أنواع الأقمشة أخذت مقاسات جسمي طولًا وعرضًا بعد أن أخبرتها أنى أريد فستانًا يناسبني ثم نطقت في وقار وقالت: عودي إليَّ بعد إسبوعين لتأخذي فستانك الجديد.
ثم أدارت ظهرها لي وأكملت عملها، لم أكن أعلم إن كان أصحاب الحوانيت يتعاملون مع زبائنهم بتلك الطريقة هنا أم أن تلك المرأه حمقاء بطبيعتها؟ ولكنني علمت السبب بعدها حين عدت بعد إسبوعين ولم أجدها وتكرر الأمر أكثر من ثلاث مرات إلى أن قابلتها فى المرة الرابعة فسألتها عن عدم وجودها في المرات السابقة فأجابت بشيء من الفخر وقالت: يبدو أنكِ لا تعرفيني ياصغيرتي أنا السيدة "سيراش" أفضل من يصنع الملابس بقارادوس بأكملها أصنع الملابس للطبقات العليا بقارادوس وأثريائها وعادةً ما أغلق الحانوت لأجوب قارادوس

بأكملها فأذهب إلى منازل كبار رجال قارادوس وزوجاتهم لأخذ مقاساتهم لهذا أضطر إلى غلق الحانوت.

فقلت لها متعجبة: ولمَ لا تجلبي أحدهم ليعمل بالحانوت حين تكونين أنتِ بالخارج؟
فقالت لي: أفكر في هذا الأمر جديًا ياصغيرتي.

فوجدتها فرصة ربما لن تأتيني مرة أخري فقلت لها: مارأيكِ أن أعمل أنا معكِ؟
فصمتت قليلًا قبل أن تنطق قائلة: من يعمل معي يجب أن يكون على قدر كافٍ من الرقي والإحترام، فكما أخبرتكِ معظم زبائني من الطبقات العُليا، ستعملين معي لمدة أسبوع تحت الاختبار، هذا الأسبوع هو الذي سيحدد إن كنتِ ستكملين بالعمل أم لا.

ومر هذا الأسبوع وأخبرتني السيدة "سيراش" أنني سأكمل معها بالعمل ومنذ ذلك اليوم وأنا أعمل معها بالحانوت، كانت ساعات العمل قليلة للغاية وساعدني هذا في مهمتي التي جئت من أجلها حتى أكون بلا قيود معظم ساعات اليوم.

مرّت أربعة أعوام على عملي مع السيدة "سيراش" لم يحدث خلالهما شيء جديد ولم يظهر هذا المنتظر ولكني لم أيأس أو حتى أفقد الأمل إلى أن جاء اليوم الذى سمعت فيه الدقات التى

تشير إلى أن المنتظر قد دخل ميجورًا وحدث ماحدث وقابلت عامر وداليا وعلمت قصتهما فارتاح قلبي لهما، بذلت قصار جهدي حتى أساعدهما لكي ينجوا؛ لكن لم يكتب لهم النجاة وفقدتهما كما اعتدت فقدان من أحب وعدت وحيدة تمامًا كما كنت دومًا، وها قد مر عام على فراقهما عام لم يتبدل فيه حالى إلا للأسوء عام كامل استيقظ فيه كل ليلة على كابوس واحد لم يتغير كنت أرى فيه جنودا يجرون عامر ليلقى مصيره المحتوم بينما أنا واقفة أشاهد من بعيد ولا أحرك ساكنًا فاستيقظ مفزوعة من نومي، عامًا كاملاً لم أستطع أن أنم الليل من فرط التفكير في مصير عامر من بعدي، لا أعلم إن كان لا يزال على قيد الحياة أم أصابه مكروه ولم يغادرني شعورى بالذنب تجاهه بعد أن تركته وحيدًا داخل ميجورًا عامًا كاملاً أصبحت فيه غير مقبلة على الحياة كما كنت في الفترة التى كنت فيها بجواره وفشلت في إيجاد تفسيرًا لقلقي الدائم عليه ربما هو مجرد إحساس بالذنب أو ربما شعور آخر لم أفهمه، على كل لا يهم الآن إن وجدت تفسيرًا أو لم أجد فعامر قد صار ذكرى وانتهى إلى الأبد.

أصبح جسدي هزيلا جدا وخسرت الكثير من وزني خلال ذلك العام وأصبح المرض لا يغادر جسدي حتى دلتني إحدى صديقاتى إلى أحد تجار الأعشاب وأخبرتنى أن لوصفاته مفعول السحر على جسد المرضى وأن حانوته يقع فى سوق قريه إدويين القريه المجاورة لقريتنا، فعزمت على الذهاب إليه ليدبر

لي القدر مفاجئة فاقت كل خيالاتي مفاجئة جعلت قلبى ينبض من جديد.

فما إن دلفت إلى الحانوت وبدأت في الحديث مع التاجر العجوز حتى وجدت مساعده الذى كان يقف خلفه قد التفت إليّ وقد اتسعت عيناه، فصعقت حين أبصرت وجهه ووثب قلبى من المفاجئة،
لم يكن هذا المساعد إلا عامر...

عامر الذي فقدته لعام وفقدت معه الحياة، لم يتغير كثيراً عن آخر مرة قابلته عند الكهف ظللنا صامتين لبرهة ننظر لبعضنا البعض وعيناانا تتحدثان إلى أن نطقت في دهشة وكأني أتأكد من صحة ما أراه بعد أن تساقطت بعض دمعات من عينى قلت :عامر!! .....مستحيل !!!!!!

عامر

إلى متى سأظل هكذا؟

إلى متى سأظل حبيس لهذا البلد أحيا فيه غريبًا وسط غرباء؟

إلى متى تستمر هذه الحياة الكئيبة المتشابه أيامها مليئة بالوحدة والقلق؟

كيف سأستمر بتلك الحياة العابثة بعد أن فقدت كل شيء وصرت لا أمتلك أي شيء؟
لا تمتلك حتى أن أنام مغمض العينين كباقى أهلها بل كتب علي أن أنام بعين واحدة بينما تظل الأخرى متيقظة تراقب في خوف ظلمة الليل إلى متى؟

كانت تلك الأسئلة تدور بذهني حين كنت أقف خلف العجوز داخل الحانوت أرتب بعض الأواني على الأرفف حين دلفت إلينا فتاة لم أتحقق ملامحها فكنت مشغولًا في ترتيب الأواني وبدأت في الحديث مع العجوز وما إن نطقت حتى تجمد جسدى من الصدمة حين سمعت صوتها، ذلك الصوت الذي أعرفه جيدًا فالتفت إليها سريعًا لأتجمد مكاني مجدداً من المفاجئة

لم تكن كما رأيتها آخر مرة حيث بدى عليها المرض الشديد وما إن نظرت إليّ والتقت أعيننا حتى تجمدت هي الأخرى في مكانها قبل أن تتساقط بعض دمعات من عيناها وأنطفئ بصوت ضعيف يبدو عليه السقم الشديد: عامر؟؟!

كدت أنطق لأجيبها؛ ولكن سرعان ما تداركت الأمر والتفت لأكمل عملي متظاهرا بأني لم أسمع ما قالته قبل أن يشعر العجوز بشيء فيشك في أمري فهو يعرف جيدًا أني أصم أبكم وواصلت صمتي ومن داخلي أتمنى لو أجبتها وحدثتها أنني أنا هو عامر يكاد لساني يحدثها رغمًا عني، فأطبقت فكي عليه بقوة وأنا أسمعها من خلفى تقول: عامر ..... أنت حي؟!
ظننت أنك فارقت الحياة

لقد اشتقت إليك كثيرًا وصمتت قليلًا ثم أردفت: عامر لمَ لا تجيب؟

كنت أسمعها جيدا؛ ولكني لم ألتفت إليها وأكملت ماكنت أفعله، حاولت جاهدًا أن لا أُبدي أي تأثرًا بحديثها، رمقت العجوز بطرف عيني دون أن ألتفت فوجدته باديًا علي وجهه الحيرة الشديدة وينظر إلى مارين تارة ثم يدير وجهه لينظر إليّ تارة أخرى وأنا مازلت أقف خلفه معطية ظهري أُكمل عملي وكأني لا أدري بما يدور خلفي.

وتأكدت أن حيلتي قد نجحت حين وجدت العجوز يهز كتفي بيده كي أنظر إليه فالتفت إليه فأشار إلى مارين فأبديت عدم فهمي لما يحدث وعدم معرفتي لها قبل أن تكمل حديثها مع العجوز؛ ولكن بلغتهم،
لا أدرى إن كانت مارين حقاً صدقت أني لست عامر أم أنها فهمت حيلتي؟

كم قاسية تلك اللحظات التي تقابل فيها شخصًا كنت تعتقد أنه لن تسنح لك الفرصة للقائه مجددًا وحين تجمعكما الصدفة مرة أخرى لا تستطيع حتى أن تنطق بكلمة واحدة.

تركتهما وهبطت إلى المخزن وأنا أفكر في طريقة تجعلني أتواصل معها دون أن يلاحظ العجوز فخطر ببالي أن أكتب لها رسالة في ورقة صغيرة وأعطيها لها دون أن يلاحظ العجوز، بالفعل كتبت لها رسالة كان نصها كالآتي" عودي إليّ ليلا بعد مغادرة العجوز " ثم طويتها عدة مرات لتكون أصغر حجمًا قبل أن أعود إلى الخارج مجددًا لأجدها مازالت تتحدث مع العجوز بلغتهم فزاد ارتباكي أن تكون قد أخبرت العجوز أني أستطيع التحدث أو أنها تعرفني مسبقا؛ ولكني شعرت بالطمئنينة بعد أن نظر إلي العجوز وأشار إلي أن أحضر له إحدى الوصفات من على الرف فأدركت أنهما كانا يتحدثا بشأن تلك الوصفات وليس

عني، انتظرت حتى أنهى العجوز تحضير وصفته ووضعها فى زجاجة صغيرة ثم وضعها بكيس قماشي فاقتربت بينما كانت مارين تعطيه النقود وألقيت بالورقه داخل الكيس بسرعة شديدة دون أن يلاحظ أي منهما ما فعلت.

بعد أن أعطت مارين النقود للعجوز وأخذت وصفتها ظلت تنظر إليّ طويلا دون أن تنطق بكلمة ثم انصرفت عائدة من حيثت أتت.

بعد أن غدرتنا مارين ظل العجوز ينظر إليّ كثيرا بنظرات تحمل معانٍ وأسئلة كثيرة شعرت وكأنه يود أن يسألني ويقول:
ما هي قصتك يافتى؟
وما السر الذي تخفيه عني؟

كنت أنتظر موعد مغادرته على أحر من الجمر، كان الوقت يمر بطيء جدًا، حاولت قدر الإمكان أن لا تلتقي أعيننا مباشرة فيرى التوتر والارتباك في عيني فتزداد شكوكه إلى أن غادر.

أخذت نفسا عميقا فور مغادرته باب الحانوت واتجهت سريعا إلى الخارج أنظر يمينا ويسارا حتى أجد مارين قد قرأت الورقة و تنتظر بالقرب من الحانوت؛ لكني لم أرها، عدت إلى الداخل مرة أخرى وجلست أنتظر قدومها في أية لحظة؛

لكن طال انتظاري وبدأت الأسئلة تدور فى رأسي: ربما لم ترى مارين الورقة؟
ربما، ربما لم تتفهم تظاهري بعدم معرفتها؟
ربما رأت الورقة بعد أن عادت إلى منزلها فآثرت أن تعود في الغد؟
كلها أسئلة كانت تدور بذهني وقتها؛ ولكني لم أجد لها إجابة

كان الوقت منتصف الليل حين أيقنت أن مارين لن تأتي الليلة فنهضت من مجلسي واغلقت باب الحانوت ثم هبطت إلى المخزن وخلدت إلى نومي بعد أن أرهقني التفكير بما حدث اليوم.

مر اليوم الثانى وحل الليل وغادر العجوز وأنا ما زلت أنتظر عودة مارين التي بمجرد أن رأيتها أمامى مجددًا عاد إلي الأمل مرة أخرى ونسيت هذا العام الذي عشت فيه حي تعتريه ملامح الموتى، لا أمتلك صديقًا لا اتكلم مع أحد ولا أحد يكلمني وحتى إن كلمني شخص ما لا أملك أن أفهم ما يقوله عامًا كامل أعيش فى عزلة داخل خيالي فقط أتذكر حياتي القديمة، أتذكر عودتي ليلاً إلى المنزل لأجد أبي جالسًا يحتسى قهوته ويقرأ كتاب فنجلس سويًا نتسامر كثيراً و أجادله في أمور كثيرة ثم يعود ليقنعني بالمنطق وبلباقته التي كان متميز بها ثم اقتنع وما يلبث أن يقتعني بأمر ما حتى نتحدث في أمر آخر وأجادله مجددًا،

كنت أيضًا أتذكر داليا وأتذكر حين كنا نذهب ونعود سويًا إلى المدرسة و الأماكن التى كنا دومًا نتقابل بها وأتذكر حديثها و روحها النقية الطيبة التي كانت تتميز بها كثيرًا كنت لا أستطيع النوم ليلًا من فرط الشعور بالذنب لتسببي بمقتلها لم أستطع أن أسامح نفسى يومًا على عدم حمايتي لها.

كنت أتذكر مارين أيضاً رغم قصر الفترة التي قضيتها معها، كثيرًا ما كنت أشعر بالذنب عن سوء معاملتي لها وكثيرًا ما جال بخاطري أن أعود وأبحث عنها مجددا؛ ولكني لم اكن أعرف عنها أي شيء لا أعرف أين تقطن ولا أعرف لها أقرباء كل ما أعرفه عنها أنها مارين الفتاة الجميلة والصديقة التي ساعدني كثيرًا وفي المقابل لم تلقَ مني سوى سوء المعاملة والإهانة؛ ولكن حقًا لا نشعر بقيمة الأشخاص إلا بعد فقدانهم؛ ولكن بظهورها مجددًا عاد لي الأمل من جديد في الخروج من تلك العزلة المفروضة عليّ، فلَكَمِ اشتقت للحديث مع شخصًا ما أسمعه ويسمعني؛ ولكني واثق أنها ستأتى عاجلًا أم آجلا ستأتي، وعندما تأتي ستجدني أنتظرها فأنا لا أملك غير هذا الخيار.

غادر العجوز الحانوت مساء اليوم الثالث كعادته وبينما كنت أنقل بعض الأعشاب داخل المخزن سمعت صوتًا رقيقًا يأتي من الخارج مناديا "عامر" تجمدت في مكاني لبضعة ثوانٍ ثم

خرجت مسرعًا لأراها واقفة أمامي داخل الحانوت فبادرتني قائلة وهي تبتسم: مر كثيرًا من الوقت وأنا أراقب الحانوت من بعيد انتظار مغادرة ذلك العجوز ثم اقتربت مني مسرعة لأجدها احتضنتني قائلةً: "افتقدتك كثيرًا ياعامر"

فقلت: وأنا أيضا افتقدتك كثيراً أيتها الفتاة.

ثم أردفت وعيناها لامعة بالدموع وسألتني: أين كنت كل تلك المدة؟
وماذا حدث لك؟
ولماذا تركت شمال قارادوس وجئت إلى إدويين؟

فقلت لها هذا أمرًا يطول شرحه، لن أستطيع أن أخبرك به الآن فأنا أخشى أن يرانى أحد وأنا أتكلم فالجميع هنا يعتقدون أني أبكم وأصم.

قاطعتني مارين وقالت في دهشة: ماذا؟

فقلت لها لا وقت لتلك الدهشة سأقابلك غدًا مع شروق الشمس عند الجهة الشمالية للطريق المعبد المؤدي للغابة الفاصلة بين إدوين وشمال قارادوس لنكون بمعزل عن الناس وأيضًا قبل أن يأتي العجوز ظهرا كما تعوّد، وافقتني مارين ثم غادرت.

بعد أن أنهيت عملي أغلقت باب الحانوت وحاولت أن أنال قسطًا من الراحة وأنام قليلًا؛ لكني لم أستطع من فرط السعادة والتفكير في غدٍ.

مر الوقت ببطء شديد حتى بدأت الشمس في الشروق فنهضت وفتحت باب الحانوت وانطلقت متجها إلى المكان الذي وصفته لمارين ليلة أمس وبعد قليل من الوقت كنت فى نهاية الطريق المعبد أتلفت يمينًا ويسارًا حتى سمعت من يقول عامر..
أدركت أنها مارين فالتفت إلى الوراء لأجدها جالسة مسندة ظهرها على شجرة بجانب الطريق فاقتربت منها وقلت متى وصلتِ إدوبين؟

فردت قائلة: أنا لم أغادر إدوبين من الأساس

فسألتها في دهشة: ولماذا لم تغادري؟

فأجابتني: المسافة بين إدوبين وشمال قارادوس ليست صغيرة فذهبت إلى إحدى صديقاتي اللواتي يقطن بإدوين وطلب منها أن أبيت عندها فرحبت بي وقضيت معها الليل ثم اتجهت إلى هنا مع بزوغ الشمس؛ ولكن دعنا من تلك الأمور التافهة وأخبرني ما حدث لك بالتفصيل منذ آخر مرة رأيتك بها

جلست بجوارها ثم أخذت نفسًا عميقًا، وبدأت فى سرد كل ما حدث خلال تلك السنة وكيف تبدلت حياتي خلالها وبالرغم من بعد المسافة بين الطريق المعبد والحانوت الذى أعمل به إلا أني كنت أصمت حين أرى شخصًا قادم من بعيد خشية أن يكون ممن يعرفونني فيفشي سري ويلفت الأنظار إليّ، وبعد أن انتهيت من سرد ما حدث لي خلال الفترة الماضية سألتني مارين: ما الذى تنوى فعله؟

فأجبتها قائلا: لا أدري ربما أحاول الاستقرار هنا فى إدوبين فهذا العجوز يعاملني كابن له وأمتلك هنا عمل يكفل لي حياة جيدة.

وبينما كنت أتحدث إلى مارين لاحظت تغير ملامح وجهها وبدى كأنها تنظر لشيء ما يخيفها خلفي، التفت ونظرت إلى الخلف فوجدت ثلاثة أشخاص ضخام البنية ملثمين لا يظهر شيء من وجوههم إلا أعينهم الممتلئة بالشر وكان أحدهم يمسك بيده سكين.

اقترب مني أكثر ثم تحدث بصوته الغليظ الغاضب بعبارة لم أفهمها فوجدت مارين تقول بصوت منخفض هؤلاء لصوص أعطهم كل ما معك وإلا سيقتلونا ولا تحاول المقاومة ولا تخفي

شيء فهم لا يمزحون؛ فنظرت إليهم أتفحصهم فصاح بي أحدهم بكلمة أخرى فقالت لي مارين أسرع وأعطهم كل شيء وأعطتني حقيبتها وسوارًا من الذهب كانت ترتديه فأخذتهم منها ومددت يدي وأعطيتهم للرجل الذي كان يحمل السكين، فأخذهم مني وكادو أن ينصرفو؛ لكن فجأة تقدم أحدهم تجاه مارين ومد يده تجاه رقبتها وانتزع سلسلة من الذهب كانت ترتديها ولم تعطها لهم لا أدري إن كانت نسيت أن تعطها لهم أم أنها أرادت أن تحتفظ بها؛ ولكن الرجل بعد أن انتزع السلسلة من رقبتها لطمها على خدها بقوة جعلتها تسقط أرضًا.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أوجه له لكمة قوية جعلته ينزف من شفتيه فانهال على ثلاثتهم ووجهو لي عدة لكمات بعدها أمسك بي اثنين منهم وكاد ثالثهم أن يغرس السكين فى صدري لولا أن انقضت مارين عليه من الخلف، فأزاحها بيده التي كان يحمل بها السكين فأصاب كتفها الأيسر الذي بدأت الدماء تتساقط منه وألقاها أرضًا.

في نفس اللحظة كانت جماعة من المارة بدأت تقترب من بعيد فرآهم الثلاثة لصوص فركضو بعيدًا فنهضت وأنا أقاوم الألم إثر الضرب المبرح الذي تعرضت له حتى وصلت إلى مارين وتفحصت إصابتها فوجدتها إصابة سطحية؛ فنزعت قميصي وضممت به جرحها وساعدتها فى النهوض، وأخبرتها أني

سأوصلها إلى البيت وهي تقول لي أنها بخير وتحاول طمأنتي إلا أني كنت مصرًا على ذلك متناسيا مخاوفي من العودة إلى شمال قارادوس مجددا خشيه مقابلة ذلك الجندي الذي كنت قد قمت بالإعتداء عليه مسبقًا وأمضينا في طريقنا إلى بيتها وحين اقتربنا من سوق شمال قارادوس حيث يتواجد الجندي، أخبرتني مارين أنها تعرف طريقا آخر إلى بيتها وقمنا بالعبور من بعض الأزقة والشوارع الجانبية إلى أن وقفنا أمام بيت صغير من طابقين فأشارت لي مارين أنها تعيش فيه وهمت بالدخول فتبعتها...

أخبرتني مارين أن أنتظر على الأريكة في ردهة البيت حتى تنظف جرحها وتغير ملابسها ثم غابت عني.

مارين: تركت عامر جالسا على الأريكة في ردهة المنزل ثم دلفت إلى غرفتي لكي أنظف جرحي وأبدل ملابسي وما أن انتهيت حتى أحضرت مشروبا ساخنا لي وله ثم خرج لأجده مازال جالسًا على الأريكة فقدمت له المشروب الذى أعدته له فأخذه وشكرني ثم سألني، هل تعيشين هنا وحدك؟

فأومئت له برأسي إيجابًا فسألني مجددًا وأين عائلتك؟

فأجبته قائلة: في الحقيقة ليس لدي عائلة فقد مات أبي وأمي منذ أن كنت طفلة وبدأت أسرد له قصتى منذ أن ولدت بطنجار حتى وصولى إلى شمال قارادوس.

وما أن انتهيت من سرد قصتى على عامر حتى وجدته يقول لي بلطف: أنا آسف.

فقلت له: لا عليك.

وبينما كنا نتحدث وجدته ينظر خلفي في تعجب نحو مكتبتي الصغيرة وقال لي: يا لها من مكتبة رائعة ونهض ثم سار باتجاهها وهو يقول هل لي أن ألقى نظرة عليها فقلت له بالطبع فظل يقلب نظرة بين الكتب وترتسم على وجهه علامات الدهشة وقال: من أين أتيتِ بكل هذه الكتب؟
فابتسمت وقلت بعضها قد درسته حين كنت طالبة بطنجار وبعضها اشتريته من مكتبات طنجار قبل أن أغادرها، جميعها كتب ذات قيمة كبيرة تتكلم عن علوم الحياة المختلفة وعن تاريخ قارادوس فكما تعلم الكتب هي المحارب الأعظم للوحدة.

فقال لي عامر: هل لي أن أطلب منك شيئا؟

فأجبته: بكل تأكيد.

فقال لي: أريد كتابًا يتحدث عن طنجار؛ تاريخها، حلمها وهذا المنتظر الذي كنتِ تعتقدين أنه أنا في البداية.

فأجبته قائلة: في الحقيقة ليس هناك كتاب يتحدث عن ما تود معرفته، فكما تعلم حلم طنجار وخطتها في الخروج هو أمر في غايه السرية لا يعلمه إلا أهلها وإن علمه أي شخص خارج طنجار سيتسبب هذا في حرب عظيمة لن تري لها مثيل، وسيصبح تحقيق حلم طنجار شيء مستحيلًا حينئذ، ثم صمت قليلًا قبل أن أكمل في تردد قائلة: ولكني أستطيع أن أساعدك فيما تريد، فسألني كيف؟

فأجبته قائلة: سأعطيك كتاب ستجد فيه كل شيء تود معرفته عن ميجورا، منذ نشأتها حتى تلك اللحظة، أنا من كتبته على مدار ست سنوات قضيتها خارج طنجار هذا الكتاب من المفترض ألا يعلم أحد بوجوده ولكني أثق بك وأثق أنك لن تسيء ظني فيك سأعطيه لك ولكن احذر أن يراه أحد فإن قرأه أحد من خارج طنجار فهذا معناه قيام حرب عظيمة يتحالف فيها قارادوس وسكريل للتخلص من طنجار حسب ما ذكر في الإتفاقيات القديمة التي عقدت بين البلدان الثلاثة ليضيع حلم تعاقبت على تحقيقه الأجيال، ثم تحركت متجهة إلى مكتبتي الصغيرة وأزحتها قليلًا لأُخرج من خلفها الكتاب وأعطيته لعامر فأخذه

وبدأ يقلب في صفحاته ثم أغلقه ودسه بين ملابسه قبل أن ينطق قائلا: لا تقلقي، لن يعلم أحد بوجوده وإن علم أحد بوجوده فلن يفهم شيء أليس من المفترض أنهم لا يفهمون اللغة العربية؟

فقلت له: نعم، عامة الشعب لا يفهمونها ولكن لا تنسي أنه قد دخل إلى ميجورا أكثر من ألف كتاب ولابد أن كثيرًا منها قد كتب باللغة العربية، ومن المؤكد أن قارادوس قد استطاعت هي الأخرى فك رموز اللغة العربية وترجمتها كما فعل أجدادنا قديمًا فكن حذرًا وأعده لي سريعًا.

فقال في ثقة: لا تقلقي سأحرص على أن لا يراه أحد.

ثم وجدته ينظر إلى قفص الحمام المعلق على الجدار من خلفي ثم اقترب منه وقال يبدوا أنك تحبين الحمام كثيرا، أتذكر أني حين رأيتك للمرة الأولى كان بيدك قفص به حمامة.

فقلت له: نعم، أحبه بكل تأكيد وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن أكمل قائلة: هذا النوع من الحمام يسمى بالديمار؛ لدي ثلاث حمامات منه وأحبهم كثيرًا، فوجدته يشير إلى حمامة بيضاء داخل القفص وسألني: ما اسم تلك الحمامة؟

فأخبرته أن اسمها داليا وأن داليا هي من اسمتها ذلك الاسم حين أخذتها معي ذات مرة إلى الكهف، وأنها كانت تحبها كثيرًا كما أنها كانت تطلب مني أن تراها من حين لآخر.

لمعت عينا عامر بالدموع بمجرد سماعه لاسم داليا يُنطق أمامه وقال بصوت حزين وهو يمسح دموعه: يجب أن أغادر الآن فأخشى أن يعود العجوز ولا يجدني بالحانوت.

فقلت له: انتظر حتى آتي معك لأرشدك إلى طريق العودة حتى لا تضل طريقك، فأخبرني أنه قد حفظ الطريق ثم غادر مسرعًا بعد أن طلب مني أن أمرّ عليه في الحانوت صباح اليوم التالي دون أن يخبرني لماذا ولكني وافقته.

أخذت الكتاب ثم غادرت منزل مارين مسرعًا لكي أتوجه إلى الحانوت فمنذ أن بدأت العمل مع العجوز لم يحدث أن أتي يوم إلى الحانوت ولم يجدني وهو يعلم أني لا أملك أصدقاء أو أقارب ولا أعرف أحدًا غيره بتلك المنطقة، سلكت الشوارع الجانبية التي أتيت منها بصحبة مارين وكدت أضِل طريقي أكثر من مرة ولكن بالأخير استطعت الوصول إلى بداية طريق الغابة ومنه إلى طريق المعبد ثم إلى إدويين.

كان الوقت عصرا حين اقتربت من الحانوت وأنا أتصبب عرقًا ثم دلفت إلى الداخل بعد أن خبأت الكتاب داخل ملابسي، فوجدت السيد أوليم جالسًا على كرسيه شارد الذهن تغمر وجهه ملامح الحيرة والقلق الشديد ولكن ما إن رآني أدلف إلى الحانوت حتى تبدلت تلك الملامح تماما وهمَّ واقفًا واقترب مني واحتضنني، جعلتني ملامحه تلك أتذكر والدي حينَ كنت أدلف إلى المنزل في أوقات متأخرة من الليل فيستقبلني بالملامح نفسها، حقًا كان يعاملني السيد أوليم كابنه فقلقه علي ولهفته تلك لا توحي إلا بمدى حبه لي.....

ليتني أستطيع فهم ما يقول أو حتى أستطيع أن أخبره بمدى امتناني وعرفاني بجميله وعن مدى حبي له الذي يزداد يومًا بعد

الآخر، كان الليل قد حل حين بدأت أقرأ أولى صفحات ذلك الكتاب ولكني ومن شدة إرهاقي ذلك اليوم لم أتعدى صفحته الثالثة إلا وقد غلبني النعاس فدسسته بين ملابسي وآثرت أن أخلد إلى النوم وأكمل قرأته في اليوم التالي.

استيقظت في صباح اليوم التالي بصعوبة، فنهضت وفتحت الحانوت ولم تمر إلا دقائق معدودة حتى وجدت السيد أوليم يدلف إلى الحانوت محضرًا معه فطورنا كما اعتاد منذ أن عملت معه.

تناولنا الإفطار سويًا لنبدأ بعدها يوم عمل جديد كان يوم كأي يوم بالنسبة للسيد أوليم ولكنه لم يكن يومًا عاديًا بالنسبة لي فقد قررت أن أخبر السيد أوليم قصتي بعدما تأكدت من حبه لي أصبحت واثقًا أنه لن يشي بي وهذا هو السبب الذي جعلني أطلب من مارين زيارتي اليوم لكي تحكي هي قصتي له، وبالفعل أتت مارين في موعدها كما طلبت منها ودلفت إلى الحانوت فأغلقت الباب ورائها فدهشت مارين والسيد أوليم مما فعلت وأشار إليّ السيد أوليم أن أفتح الباب، لكني ظللت واقفًا في مكاني وأنا أنظر إليه ثم أخذت نفسًا عميقًا قبل أن أحول نظراتي تجاه مارين وأقول في هدوء شديد: مارين، أريدك أن تخبري السيد أوليم بما سأقوله لكي بالحرف الواحد فأشارت بالإيجاب بعدها نظرت إلى السيد أوليم الذي كانت دهشته قد بلغت عنان السماء من أثر المفاجأة حين رآني أتحدث للمرة الأولى.

بدأت أسرد له قصتي من البداية كنت أتكلم وأنا أنظر إلى السيد أوليم أراقب ملامح وجهه التي تحولت تدريجيًا من الدهشة إلى التعاطف ثم تكرر مارين ما قلت له، لم ينطق السيد أوليم بكلمة واحدة طوال حديثي إليه إلى أن انتهيت من سرد قصتي كاملة، فصمت قليلًا ثم تحدث إلى مارين التي ارتسمت على ملامحها الدهشة مما قال فسألتها متلهفًا: بماذا اخبرك؟

فقالت لي أن السيد أوليم أخبرها أنه كان يشعر بأنك تخفي شيئا عظيمًا وأنه كان يعلم أنك تستطيع أن تسمع وتتحدث فقد سمعك أكثر من مرة تتحدث أثناء نومك إضافة إلى أنه كثيرًا ما كان يلاحظ تفاعلك للصوت مِن حولك لكنه لم يشعرك بذلك، ظلّ متحيرًا كثيرًا من أمرك ولكنه فضّل أن ينتظر حتى تخبره أنت بالحقيقة وكان يعلم أنك ستفعل.

اتسعت حدقتا عينيّ من تلك المفاجأة ودارت في رأسي الكثير من الأسئلة فطلبت من مارين أن تسأله لماذا لم يواجهني أو يطردني من العمل حين شك بأمري، ألم يخشَ مني أن أريد به سوء؟

فسألته مارين فابتسم قليلًا ثم أجابها، فأخبرتني أنه تعامل مع الكثير من البشر ويستطيع التمييز بينهم ويقول أنه من خلال

تعامله معك فقد رأى أن تصرفاتك ونظراتك لم توحي بأي غدر أو سوء نية وما أكد ظنه فيك أنه أحسّ بشيء غريب في وصفاته التي كان يبيعها، فراقبك ذات مرة وعلم أنك كنت تضيف بعض الأشياء؛ في البداية شك فيك ولكن بعد أن ازداد عدد المتوافدين إلى الحانوت من زبائن وزادت جودة وصفاته غادره الشعور بالشك تجاهك.

زادت دهشتي أضعافًا إثر سماعي لهذا الكلام من مارين بعدها أكمل السيد أوليم حديثه وأخبر مارين بأنه لن يشي بي وسيساعدني قدر الإمكان ولكن عليّ أن أظل أتعامل كما أنا حتى لا يشك أحد بأمري، وحذرني من الحديث أمام ابنه سلدون ثم نهض وفتح باب الحانوت لنكمل عملنا ولكي لا يشعر أحد بأي شيء غريب.

سألت مارين أن تطلب منه أن يسمح لي بقليل من الوقت أتحدث فيه معها في المخزن حتى لا يرانا أحد فوافق، بعدها دلفت أنا ومارين إلى المخزن لنتحدث قليلًا.

"أخبرني، هل أعجبك كتابي؟ " هذا ما قالته لي مارين فور دخولنا إلى المخزن فقلت لها: في الحقيقة أصابني الإرهاق أثناء قراءتي للكتاب ليلة أمس فلم أقرأ منه سوى ثلاث صفحات ولكن هناك شيء أود أن أسأل عنه.

عامر: أخبرتِني من قبل أن ميجورا كانت منقسمة إلى ثلاثة مدن إلى أن استطاعوا التخلص من الرومان وتم تنصيب ملكًا للثلاث؛ قارادوس، طنجار، وسكرييل، ولم يذكر شيء عن إدويبن، لماذا؟

ابتسمت مارين ثم قالت: ببساطة لأن إدوبين جزء من قارادوس لا أكثر، فقارادوس أكبر المدن الثلاثة من حيث المساحة وعدد السكان وقوة جيشها.

فسألتها: وماذا عن سكريل؟

فأجابتني قائلة: تلي قارادوس من حيث المساحة وعدد السكان وتعتبر أفقر المدن الثلاثة وأكثرها جهلًا، هم تابعون لا أكثر تتحكم بهم قارادوس كيفما شاءت نظير ما تمدها به من مساعدات.

فسألتها مجددًا: وماذا عن طنجار؟

أجابتني: طنجار هي الأقل عددًا من حيث السكان والمساحة ولكنها أكثرهم تقدمًا ونظامًا لا ترى فيها من الهمجية ما تراه في قارادوس أو سكريل، على العكس تمامًا، تسير طنجار بقوانين

صارمة لا يستطيع أحد المساس بها فكل فرد داخل طنجار له دور في تحقيق حلمها، فمنذ القدم تخلى أجدادنا عن مصالحهم الشخصية ووضعوا حجر الأساس في بناء مستقبل طنجار وعملوا جاهدين على تحقيق هذا الحلم منذ أن انعزلوا بطنجار وبدأوا في بناء حضارتها ثم تعاقبت الأجيال من خلفهم جيل يكمل من نقطة نهاية الجيل الذى يسبقه، فيستلم الراية ليبدأ دوره إلى أن يتمه على أكمل وجه، ثم يسلم الراية للجيل الذي يعقبه، الكل يسعى من أجل تحقيق حلم واحد هكذا تنهض الأمم، ثم أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تكمل قائلة: ليتني أستطيع أن أجعلك ترى بعينك مدى التقدم والقوة والحضارة التي وصلت إليها طنجار.

سألتها متعجبًا: إن كنتم أقوياء كما تقولين لماذا تختبئون خلف سوركم وتخشون القتال وتضعون آمالكم في تحقيق حلمكم بين يدي شخص واحد تسمونه "المنتظر" أيعقل أن يتحكم شخص واحد في تغير مسار الآلاف من البشر .....صدقيني لا يوجد شيء اسمه المنتظر وتلك النبوءة ما هي إلا خرافة ربما اختلقها أجدادكم من أجل أن يجعلوكم تعملون وتكدون حتى تصلوا إلى هذا التقدم والقوة التي تحدثيني عنها ولكي لا تفقدوا الأمل في العمل على تحقيق حلمكم، ربما كان غرضهم شريف من تلك النبوءة، وهو بث الأمل فيكم حتى تصبحوا أمة قويه بما يكفي، تستطيع البطش بكل من يقف أمام تحقيق احلامها ومن المؤكد

أنهم كانوا يعلمون أن دور تلك الخرافة سينتهى يوما حين تصدقون بقوتكم لتقرروا الخروج وتحقيق حلمكم بأياديكم.

كان الغضب الشديد باديًا على وجه مارين إثر ما سمعته لتوها فقربت وجهها من وجهى ونظرت في عيني بحدة وقالت بشراسة فارس مغوار: لم نختبئ خلف سورنا من الخوف يوما ولا نخشي القتال، فقط كنا نبني أنفسنا وأخبرتك أن أعدادهم أضعاف أعدادنا؛ فمهما بلغنا من القوة لن نضاهي بها تلك الأعداد العظيمة أما عن النبوءة والمنتظر فأنا على يقين أنها ليست خرافة وسأضحك في وجهك يوما حين تتحقق تلك النبوءة.

تعجبت من حدتها وقلت لها مبتسما: لا تقاس القوة بالعدد فربما عدد صغير من الأقوياء الأذكياء قادر على سحق الآلاف من الأغبياء الهمج ثم قربت وجهي من وجهها تماما كما فعلت وقلت لها هادئا: ولا تقلقي سأجلس وأنتظر تلك اللحظة التي لن تأتي لتتحقق فيها نبوءتك، فأنا عالق في عالمك لا مفر.

فابتسمت وقالت: سنرى أيها العالق.

وقتها تعالت ضحكاتنا قبل أن تخبرني أن عليها الذهاب حتى تعود قبل عتمة الليل ولكنها قبل أن تخرج استدارت وسألتني: ولكن ما غرضك من تلك الأسئلة يا عامر؟

فقلت لها: ستعرفين لاحقا.

ثم غادرت بعد أن وعدتني أنها ستزورني مرة خلال كل أسبوع.

كان لظهور مارين فى حياتي من جديد أثر كبير في تحسين حالتي النفسية وانتشالي من التيه الذي كنت غارقا فيه بعد أن كاد الجنون يصيبني من فرط الوحدة بعد أن قضيت أكثر من عام لم أتحدث فيه مع أحد عشت فيه حبيسا لعقلي، عانيت فيه الوحدة بحذافيرها إلى أن عادت مارين إليّ من جديد فصارت تمثل كل الحياة بالنسبة لي، وصرت أنتظر اليوم الذي تزورني فيه من كل أسبوع بشوق لتأتي فأحدثها وتحدثني، والويل كل الويل إن فوتت أسبوع دون أن تأتي كان هذا يعد أسوأ كوابيسي وبمرور الوقت وتوالي الزيارات صرت أكثر تعلقا بمارين لا أدري إن كان هذا التعلق نابع من كونها الشخص الوحيد الذي أفهمه ويفهمني بهذا العالم أم أنه شيء آخر، في الحقيقة لا أعرف وكن ما أعرفه جيدا الآن هو أن تعلقي بها صار يزداد يوما بعد يوم حتى أني صرت أعد الأيام والليالي في انتظار مجيئها والعجيب في الأمر أني قد لاحظت أن السيد أوليم هو الآخر قد استلطف وجودها وزياراتها المتكررة لنا كما أنهما كانا يتبادلان الحديث كثيرا.

مرت الأيام تباعا وصرت أعرف كل شيء عن تاريخ ميجورا ومدنها الثلاث من خلال قراءتي لكتاب مارين ومناقشتي لها في الأجزاء التي لم أكن أفهمها فغالبا كان حديثنا إما يدور حول شيء ما في كتابها لم أفهمه وإما عن مصيري، أذكر أنها قد سألتني ذات مرة إن كنت قد قررت البقاء داخل ميجورا أم أني ما زلت أحن إلى وطني وأهلي؟

فقلت لها: في الحقيقة كل ليلة قبل أنام أسأل نفسي هذا السؤال فتكون نتيجته إما استحضار شرس للذاكرة فأتذكر داليا وما حدث لها بسببي، وإما حنين إلى عائلتي ووطني وأشياء لم يعد للقياها مجال فقررت أن أترك الأمر للقدر وأدعو الله أن يبعث لي أمل في العودة من جديد.

مر الوقت سريعا تلك الليلة ولم نشعر به وبينما كنت أقصّ على مارين بعض من ذكرياتي داخل وطني وعن مدى اشتياقي للعودة إليه مجددا سمعنا صوتا يأتي من الخارج فطلبت من مارين أن تنتظر في المخزن حتى أخرج لأرى ماذا يحدث، خرجت فوجدت سلدون بن السيد أوليم قد دلف إلى الحانوت، كان يبدو عليه أنه ثمل، وكان يحاول فتح الخزينة، وأخذ منها نقود كان السيد أوليم قد تركها ليسد بها ديونه لبعض التجار الذين يوردون لنا الأعشاب فحاولت منعه فلطمني بيده على خدي فكدت أن ألكمه ولكني استطعت أن أتمالك نفسي وتذكرت

القاعدة الأولى التي وضعتها لنفسي منذ أن دلفت إلى إدوبين وكانت تلك القاعدة هي ألا ألفت الأنظار إلي، فيجب عليّ أن أبتعد عن المشاكل قدر المستطاع وأن أستطيع السيطرة على غضبي تجاه أي موقف قد يجعلني عرضة لأصبح مصدر شك لأحدهم بعدها همّ ليغادر بعد أن يئس من الحصول على ما أتى من أجله.

انتظرت بضعة دقائق حتى أهدأ قليلا قبل أن أدلف ثانية إلى المخزن لأجد مارين جالسة في مكانها لم تتحرك فقلت لها: هيا بنا لأوصلكِ لقد تأخر الوقت وكنت أنظر إلى الأرض حتى لا ترى ملامحي الغاضبة فتسألني عما حدث.

ولكن يبدو أنها لاحظت تغير ووجهي فسألتني متعجبة ماذا حدث بالخارج يا عامر لا تبدو الشخص ذاته الذي كان يحدثني منذ قليل ما الذي حدث بالخارج جعلك تطلب مني الرحيل فجأة؟

فقلت لها: لم يحدث شيء هيا بنا لنغادر.

لم تقتنع مارين بما أخبرتها به، ولكنها وافقتني أن نغادر.
أغلقت الحانوت وأمضينا في طريقنا ولكني لم أنطق بكلمة واحدة منذ أن خرجنا حتى اقتربنا من سوق قارادوس

فقالت لي مارين: أتدري يا عامر؟ أنت تختلف كثيرا عن معظم الشبان الذين عرفتهم بقارادوس تتعامل مع الأمور بحكمة كثيرا ما لاحظت هذا.

فقلت في تعجب: شكرا؛ ولكن ما الذي جعلك تقولين هذا؟

فردت قائلة: كنت أقف خلف باب المخزن ورأيت ما فعله سلدون.

فنظرت إلى الأرض في انكسار لم أكن أريدها أن تراني فيه يوما ولكني وجدتها تتوقف وتمسك بيدي وتضمها بيديها الاثنتين ووقفت أمامي وتكلمت وهي تنظر في عيني وقالت لا داعى لأن تخفض رأسك أعلم جيدا أنك لم تكن عاجزا على أن ترد له الصاع صاعين فقد رأيت شجاعتك حين واجهت الثلاثة لصوص بعد أن لطمني أحدهم ولم تكن خائفا وأعلم أنك تعاملت مع الأمر بحكمة لا أكثر وأنك تريد أن تكون بعيدًا عن الأنظار، ارفع رأسك وابتسم فلن أراك إلا بعد مرور أسبوع، ولا أريد أن يكون آخر شيء أراه منك نظره انكسار.

فابتسمت لها وقلت: لا تعلمين كم أراحني حديثك هذا، أعتقد أنك أفضل شيء حدث لي منذ أن دلفت إلى هذا البلد اللعين،

احمرّ وجه مارين خجلا ثم تركت يدي وبعدها غادرتني عائدة إلى بيتها

أمضيت في طريقي عائدًا إلى الحانوت وأنا أحدث نفسي متعجبا من تلك الفتاة التي تبهرني بقوة شخصيتها يوما بعد يوم، وأصبح ما لها داخل قلبي خارج إطار الكتمان فحدثني قلبي أن أبوح لها بما فيه إلا أن عقلي منعني وبشدة متعللًا بكوني أحيا حياة غير مستقرة واشتعل الصراع المعتاد الذي يشتعل داخل كل منا خلال تلك المرحلة ألا وهو صراع العقل والقلب والذي نعلم جميعًا المنتصر فى نهايته، لم يتوقف عقلي عن التفكير في ذلك الصراع المشتعل بداخلي حتى وجدت نفسي أمام الحانوت.

مارين

تركت عامر وأمضيت في طريقي تغمر وجهي سعادة تكاد تصل عنان السماء، تحمر وجنتاي وترتسم إبتسامة على وجهي كلما تذكرت حديث عامر إليّ وهو يقول: "أنت أفضل شيء حدث لي"، تمنيت لو كان يعرف بمدى حبي الذي لم أستطع أن أصارحه به طوال تلك الفترة خشية ردة فعله الغير متوقعة، ففضلت الكتمان وأن أنتظر لأرى ما تحمله لنا الأيام القادمة، في الحقيقة؛ حدثني عقلي كثيرا عن استحالة حدوث هذا الحب كوني أعيش حياة غير مستقرة إضافة إلى عامر الذي يحيا حياة مشابهة، فكلانا معرض في أي لحظة أن يكشف أمره، وإن كشف أمر أحدنا؛ فلن تتوالَ قارادوس عن سلخه حيًا فمن الأفضل لكلينا أن نكون بعيدين عن بعضنا البعض حتى إذا كشف أمر أحدنا لا يعرض حياة الآخر للخطر ولكني ألقيت بكل ما حدثني به عقلي خلف ظهري ولم أنتبه سوى لصوت قلبي؛ قلبي فحسب وعزمت أن أخبر عامر عن شعوري هذا حين أقابله الأسبوع المقبل، ولكن دوما ما تأتي الرياح بما لا تشتهى السفن؛ فحدث ما قلب حياتنا رأسا على عقب حين ذهبت إلى إدويين تلك المرة.

اتجهت إلى إدويين في موعدي المحدد من كل أسبوع أحمل بين يدي قفصي الذي أحمل فيه حماماتى الثلاثة كما اعتدت أن أصطحبهما دوما معي إلى الخارج حين أكون سعيدة، وفي

الطريق كنت أرتب كلماتي التي سأقولها لعامر وأتخيل ردة فعله وتغمرني ملامح فرحة، كان شعور مختلف بالنسبة لي فلم يراودني شعور الحب هذا من قبل.

دلفت إلى الحانوت فوجدت عامر ينجز بعض المهام داخل المخزن فانتظرت برفقة السيد أولييم الذي لاحظت تغير وجهه عن المرات السابقة لطالما قابلني دومًا بابتسامتة الجميلة ولكن تلك المرة كان الحزن والقلق باديان على وجهه، فسألته إن كان بخير؟

تعجبت حين أخبرني قَلِقًا أنه كان ينتظر مجيئي، فسألته متلهفة عن سبب ذاك الانتظار، فأخبرني أنه يتوجب على عامر مغادرة إدوبين في أسرع وقت، وحين سألته عن السبب أخبرنى أن ابنه سلدون أصبح يسأله عن عامر كثيرا وأخبره أيضا أنه يشك بأمره ولكن لم يكن هذا ما أقلق السيد أوليم؛ ما أقلقه حقا هو حين رأى ابنه سلدون يبحث بين أغراض عامر في غيابه أكثر من مرة وأخبرني في النهاية أنه قلقا على عامر من ابنه سلدون كما أنه يشعر أنه يدبر له مكيدة؛ فهو شديد الذكاء وقوي الملاحظة وأنه من الأفضل أن يغادر عامر إدوبين في أسرع وقت.

انتابنى شيء من الخوف فور أن أنهى السيد أوليم حديثه فاتجهت مباشرة إلى المخزن لكي أخبر عامر بما أخبرني به السيد أوليم،

فوجدته يرتب بعض الأجولة داخل المخزن، فاقتربت منه وما إن شعر بخطاي حتى التفت إليّ وابتسم وهمّ ليصافحني ولكن سرعان ما تلاشت تلك الإبتسامة حين شعر برعشة يدي فسألني عن السبب، فأخبرته بما أخبرني به السيد أوليم للتو، ليظهر الوجوم الشديد على وجه عامر ثم لاز بصمت قليل كأنه يربط بعض الأفكار فى رأسه قبل أن ينطق في ذعر قائلًا: أتمنى ألا يكون ما أفكر به صحيحا.

فسألته قلقةً عما يدور في عقله!

فقال في حيرة: الكتاب.

فسألته: أي كتاب؟

فقال: كتابك الذي أعرتِني إياه؛ الذي يحكي تاريخ طنجار وخطتها.

شعرت حينها بقلق شديد وأن كارثة على وشك الحدوث فقلت له: أين هو؟

فصمت قليلا قبل أن يقول: منذ خمسة أيام بحثت عنه لأكمل قراءة آخر أجزائه فلم أجده في المكان الذي كنت قد خبئته فيه،

بحثت في كل ركن من أركان المخزن ولم أعثر عليه والآن حين أخبرتِني أن السيد أوليم رأى ابنه سلدون يفتش بين أغراضي علمت أين ذهب الكتاب.

لم تقوى قدماي على حملي بعد ما سمعته من عامر فما تلك إلا طامة ستعصف بنا وبطنجار وأهلها، فجلست أرضا واضعة رأسي بين قدماي تتساقط دموعي وظللت أردد: لقد انتهى كل شيء .... قضي علينا..... قضي علينا.

"المصائب لا تأتي فرادى" لطالما سمعت تلك الجملة ولم أصدقها حتى أتى هذا اليوم المشئوم الذي توالت علينا فيه المصائب تباعًا فلم ينتهي الأمر حين أخبرتني مارين بشأن ما حدثَّها به السيد أوليم أو حين أخبرتها أني فقدت الكتاب وأنه من المرجح أن يكون بين يدي سلدون الآن، مسكينة لم تتحمل ما سمعته وانهارت باكية فور معرفتها أن الكتاب بين يدي سلدون الآن، وأن نهايتنا أصبحت وشيكة ولا أعتقد أن الأمر سيتوقف عند ذلك فإن صدق حدسي بأن سلدون قد قام بتسليم الكتاب إلى قصر الحاكم فهذا لا يعني إلا شيئا واحدا، وهو نهاية طنجار بعد حرب تشنها عليها قارادوس وسكريل تذيقها فيها شتى أنواع العذاب وكل هذا بسببي.

حدثني عقلي وأنا أنظر إلى مارين الملقاة أمامي على الأرض ويتعالى صوت بكائها، ولا أدري ما ذنبها في أن تنهار حياتها وحياة شعبها وحلم من عملوا على تحقيقه لمئات السنين بسببي، وخطرت ببالي داليا وما نالته من شر المصير بسببي، وصرت أتسائل في نفسي: أحقا صرت لعنة تدمر حياة كل من يقترب مني؟

تزاحمت الأفكار في رأسي ولم أجد ما أقوله لمارين التي لن تسامحني مهما بررت لها، وأي مبرر هذا الذي يبرر فقداني للكتاب سوى أني للمرة الثانيه خذلت من وثقت بي!

في الحقيقة لم تمهلني المصيبة التالية الوقت الكافي للتفكير فيما حدث، فما هي إلا دقائق وسمعت الضجيج يتعالى بالخارج فنظرت إلى مارين التي رمقتني بطرف عينها ولم تنطق بكلمة وكأنها صارت لا تبالي بما يحدث حولها، فتركتها وتوجهت خارج المخزن لأرى سبب ذلك الضجيج، وما إن خرجت حتى تجمد الدم بعروقي من هول ما رأيت!

كان هناك عدد كبير من الجنود المتواجدين داخل الحانوت وخارجه إضافة إلى أعداد كبيرة من أهل قارادوس الذين تواجدوا حول الحانوت ولكن أكثر ما أثار فزعي كان رؤيتي للسيد أوليم وهو ملقى على الأرض مكبلًا بالأغلال وبجانبه كان يقف أحد الجنود واضعًا قدمه فوق رأس السيد أوليم، حينها ركضت تجاهه بسرعة شديدة ودفعت الجندي بقوة لأسقطه أرضًا، وحين رأى الجنود ذلك؛ انهالوا جميعهم عليّ ضربًا ثم كبلوني وألقوا بي بجانب السيد أوليم، وبينما كنت ملقى على الأرض رأيت هذا الشيطان الذي يدعى سلدون يقترب من أحد الجنود ويتكلم معه ثم أشار إلى داخل المخزن فأتجه ثلاثة جنود سريعًا إلى الداخل وما هي إلا لحظات بعد دخولهم حتى سمعت

صرخات مارين تتعالى وأنا مازلت أنظر إلى باب المخزن أترقب خروجها لبضع لحظات، توقف بها قلبى وتجمد الدم بعروقي حين وجدت تلك الحمامة البيضاء قد خرجت من باب المخزن ثم حلقت خارج الحانوت فزعة بين الزحام ثم وجدت مارين تخرج من المخزن ممسك بها الثلاثة جنود.

اقتاد الجند ثلاثتنا إلى صومعة عربة خشبية خارج الحانوت وسط صياح أهالي إدويين المتجمعين حول الحانوت ثم تحركت بنا العربة إلى حيث لا نعلم ولكن ما نعلمه جيدًا أن النهاية قد صارت وشيكة وأن مصيرنا هو الموت لا محالة.

مر كثيرا من الوقت منذ أن تحركت بنا العربة من أمام الحانوت، لم ينطق أحدنا بكلمة؛ فقد ظلت مارين شاردة تحملق في الفراغ أمامها لا تتحرك أما السيد أوليم فلم يتوقف عن البكاء منذ أن تحركت العربة، أستطيع تفهم موقفه جيدًا فصدمة عقله مما فعله به ابنه سلدون كفيلة بأن تجعله يفقد عقله، أما أنا فقد أيقنت أني ملاقي حتفي لا محالة فغصت داخل عقلي أتنقل بين ذكرياتي لتمر من أمامي الكثير من المشاهد الفارقة والتي كان أهمها يوم فقدت داليا ما جعلني أجهش بالبكاء العنيف الذي لم يتوقف إلا مع توقف العربة ثم وجدنا باب العربة يفتح وقام الجنود بإخراجنا لنجد أنفسنا أمام قصر كبير يحاوطه الكثير من الجنود لم أتبينه

كاملا من شدة الظلام ولكن المشاعل الكثيرة التي كانت معلقة على سوره زادت من رهبته.

اقتادنا الجنود لنعبر بوابة القصر ومنها إلى مبنى صغير ملاصق للقصر ثم هبطنا سلمًا إلى الأسفل ومنه إلى طرقة مظلمة بها القليل من المشاعل.
مع كل خطوه كنت أتقدمها للأمام كانت تزداد معها دقات قلبي وترتعد أوصالي، حقًا هي لحظت مريبة تلك التي تكتشف فيها أنك أصبحت على حافة الموت و بدأت أتسائل: أحقا تلك هي النهاية؟
هل سينتهي كل شيء فجأة؟
هل تلك هي النهاية التي أستحقها؟
ماذا فعلت لتكون تلك نهايتي؟ أن أموت غريبًا منبوذًا وحيدًا بأرض عشت فيها غريب!

ظلت تلك الأسئلة تدور برأسي أثناء سيرنا داخل طرقات القصر ولم يتوقف عقلي عنها إلا حين توقف الجنود أمام إحدى الزنازين ثم قام أحد الجنود بفتح بابها وكانت شديدة الظلام لا مصدر لأي إضائة بها ثم ألقوا بثلاثتنا داخل تلك الزنزانة بعد أن فكوا قيودنا وأغلقو الباب وغادروا.

منعنا الظلام الدامس داخل الزنزانة من رؤية بعضنا البعض، فصرت لا أسمع إلَّا دقات قلب مارين، ونحيب السيد أوليم الذي لم يتوقف منذ أن غادرنا إدوبين، فكان الصمت هو المسيطر علينا.
حاولت كثيرًا أن أتحدث إلى مارين، ولكني خشيت ردة فعلها، فأثرت أن أصمت؛ لأني كنت أعلم جيدًا أنها لن تسامحني على خطئي هذا ولو قضيت ما بقى من عمري فى الاعتذار لها، فهناك أخطاء لا تغتفر ولو اعتذر صاحبها الدهر كله.

مر المزيد من الوقت وأنا أنتظر حدوث أي شيء، إلى أن انتفض قلبي حين سمعت خطوات أحدهم تقترب من الزنزانة، وما هي إلَّا لحظات قليلة من الترقب حتى وجدت باب الزنزانة يُفتح؛ ليظهر وجوه لثلاثة من الجنود، كان أحدهم يحمل في يده شعلة، تقدم إلينا أحدهم، وقام بلف سلسلة حديدية حول رقبتي وحول يدي، وفعل هذا بمارين والسيد أوليم أيضًا، ثم أمسك بطرف السلسلة الحديدية وقام بجرنا لنسير خلفه.

كان الجندي الذى يحمل الشعلة يسير في الأمام، يتبعه الجندي الممسك بطرف السلسلة الحديدية التى كبلنا بها، ومن خلفه مارين، ومن خلفها السيد أوليم يتبعه أنا، ومن خلفي الجندي الثالث.

عبرنا الكثير من الممرات ثم صعدنا إلى الأعلى لنخرج من المبنى الصغير ومنه إلى القصر.

كان قصرًا مهيبًا عُلقت على جدرانه الكثير من المشاعل المنقوش عليها الكثير من الرسومات والكلمات المزخرفة التي لم أفهمها، ولكنها كانت متناسقة ومتداخلة مع بعضها البعض لتعطي نوع خاص من الجمال الذي لم أرَ مثله من قبل، تشعر وأنت تتأمل تلك الزخارف أنك أمام حضارة لم تُكشف بعد.
وبينما كنت أتأمل تلك الزخارف أثناء سيرنا داخل القصر، تعسر السيد أوليم وسقط أرضًا ولم يستطع النهوض، على الفور التفتت مارين إليه وحاولت أن تساعده على النهوض، فأقترب منها الجندي الذي كان يسير خلفي وركلها بقدمه لتبتعد عن السيد أوليم، ولكن ما حدث كان مفاجأة بالنسبة لي، حيث قامت مارين بالقفز عاليًا وبطريقة بهلوانية قامت بتوجيه ركلة بقدمها استقرت فى صدر الجندي الذى ركلها، فأطاحت به بعيدًا لتسقطه أرضًا، ثم هم الجنديان الآخران بالهجوم عليها، ولكنها أسقطتهم أرضًا أيضًا، كل هذا وهي مكبلة الأيدي والرقبة، ليصاب جميع من كانوا في القصر بالدهشة، وعلى رأسهم أنا، وقفت ثاغرًا فاهي من قوة تلك الفتاة التي لم أعهدها من قبل، تلك الفتاة التي كانت منذ قليل مكومة على الأرض تبكي، تحسبها جسدًا بلا روح، تظنها أضعف من أن ترفع صوتها فى وجه أحدهم! كيف

استطاعت أن ترمم روحها بتلك السرعة لتظهر بتلك القوة فجأة، وكأنها لم تمر بلحظة ضعف قط.
في تلك اللحظة ارتبك حرس القصر جميعًا، فالتفوا حولنا بشكل دائري، ثم نهض الجنود الثلاثة وتقدمو تجاهنا بعد أن أخرجوا عصيهم الحديدية، وقبل أن ينهالوا علينا ضربًا صاح شخصٌ بصوته الغليظ من الأعلى جعل الجميع يلزم مكانه لا يحرك ساكنًا.
حين نظرت إليه وجدته رجلًا في عقده الخامس، يرتدي زيًّا عسكريًّا، حاد الملامح، قوي البنيان، كان يقف في نهاية السلم وينظر إلينا من الأعلى في ثباتٍ بالغ، ثم نطق بجملةٍ لجنوده، وأدار وجهه ثم دخل إلى إحدى الغرف.

في تلك اللحظة أخفض جميع الجنود عصيهم، ثم أمسك الجندي بطرف السلسلة الحديدية من جديد، وتابعنا السير كأن شيئًا لم يكن، ثم صعدنا السلم ومنه إلى الغرفة التي دخلها هذا الرجل ذو الملامح الحادة، كانت غرفة واسعة للغاية، لم أرَ في حياتي غرفة تفوقها فى المساحة، بالإضافة إلى الزخارف التي كانت لا تقل في روعتها عن باقي الزخارف التى رأيتها بالأسفل، كانت مليئة بالكثير من التماثيل على هيئة مقاتلين، وأخرى على هيئة حيوانات شرسة، منها أنواع كنت أعرفها، وأنواع لم أرى مثلها من قبل، ولكنها كانت حقًا شديدة الجمال والدقة.

تابعنا السير داخل الغرفة حتى وصلنا إلى نهايتها، فنظرت أمامي لأجد الرجل الذى رأيته بالأسفل يجلس على عرشٍ مرتفع عن الأرض لمسافة كبيرة بحيث لا يمكنك النظر إليه إلَّا ورأسك مرفوعًا للأعلى، كان يجلس في وقارٍ بالغٍ وشموخ، بينما كانت تقف على يمينه فتاة فى أواخر العشرينات، كانت ثابتة لا تتحرك.

اقتربنا من عرشه فأشار إلى الجنود فغادروا الغرفة، ووقفنا نحن الثلاثة أسفل العرش، ويسمع كلٌ منا دقات قلب الآخر، بينما كان هذا الرجل الذى بدأت أدرك أنه الحاكم لم ينطق بكلمة، فقط اكتفى بأن ينظر إلينا في حدة، وظل يقلب بصره بين ثلاثتنا، إلى أن تكلم إلى الفتاة التي كانت تقف على يمينه، فأمالت الفتاة رأسها لتنصت لما يقول، ثم اعتدلت مجددًا ونظرت إلينا

وقالت: أنا مترجمة سيدي الملك طوليس، وسأنقل لك ما يخبرنى به.

ثم مالت الفتاة إلى سيدها فتحدث إليها لتعتدل من جديد،
وقالت على لسان الملك: ذا أنت المنتظر، لماذا أتيت إلى بلادنا؟ أتريد أن تظهرنا إلى عالمكم من جديد لتعيد ميجورا إلى سابق عهدها وتذيقونها العذاب مجددا؟

فنظرت إليه وقلت في يأس: سيدي أقسم لك أنني لست هذا المنتظر الذى تبحثون عنه، ووالله ما وطأت قدمي أرض هذا البلد إلا بمحض صدفة، ولا شأن لي بصراعكم هذا.

فترجمت له الفتاة حديثي، فضحك الملك بسخرية ثم تحدث إلى فتاته،
فقالت سيدي يقول لك: هل تعتقد أننى غبي لأصدق ما تقوله، لدينا نبوءة تُنذر بقدومك منذ مئات السنين أيها الغبي، وها أنت ذا تقف أمامي الآن فلا تحاول الكذب، فقد أقسمت يوم توليت حكم البلاد أن أحافظ عليها ضد أي خطر يأتي من الخارج أو الداخل، وأن تبقى في معزل عن عالمكم الموحش هذا.

فقلت:
أنا لا أكذب سيدى، لو كنت المنتظر كما تعتقد لما كنت هنا، وكنت ذهبت إلى طنجار منذ أول يوم وطئت قدمي بلدكم، وما بقيت داخل قارادوس لأزيد من عام، واعذرني إن أخبرتك بأن صورتك عن عالمنا لا علاقة لها بالواقع، فالعالم بالخارج ليس كما تعتقد بأنه عبارة عن مزيج من القتل والخراب وسفك الدماء، على العكس تمامًا، إذا قارنته بعالمكم فالعالم بالخارج أكثر تطورًا عن عالمكم بطريقة لا تتخيلوها ولا حتى تخطر على أذهانكم، كما أنه تحكمه قوانين وأسس تسيره.

بعد أن ترجمت الفتاة ما قلته لسيدها ظهر الغضب الشديد على وجهه، وحدثها بلهجة قوية، فقالت سيدي يقول: اي قوانين واسس تلك التي تتحدث عنها! لقد قتلوا وعذبوا واستعبدوا واغتصبوا جميع حقوقنا في الماضي، وأنزلو ببلادنا خرابًا عظيمًا، وأنت تحدثني عن قوانين وأسس!

ابتسمت وقلت: مسلمات، هي مسلمات لا أكثر تنقل من جيل لآخر تنشأ معك منذ الطفولة، فتتحول إلى شيءٍ راسخ داخل عقلك لا تستطيع الاقتراب منه أو التشكيك في صحته، كأنه وحيٌ أُنزل، ولو أنك استخدمت عقلك وتأملتها قليلًا، ستجد أن نصف تلك المسلمات التى تربيت عليها لا أساس لها من الصحة، وهذا ما أراه أمامي منذ أول يوم دخلت فيه قارادوس، فأنتم لا تفعلون شيء سوى أنكم تنحون عقولكم جانبًا، وتؤمنون بمثل هذه المسلمات التى توارثتموها عن أجدادكم عن العالم الخارجي، فما هو بالنسبة لكم سوى حفنة من البشر العاشقين لسفك الدماء والتعذيب، ونسيتم أن العالم يتغير كل دقيقة، ولا شيء يبقى على حاله، فما كانت نتيجة هذا إلا انكم حكمتم على أنفسكم فن البقاء في قاع العزلة والجهل، وحرمتم أنفسكم وأبنائكم من حياة أكثر تطورًا.

فرد قائلًا: لسنا في قاع العزلة والجهل أيها المجرم، انظر إلى سكريل، وإلى مدى جهل وسوء حال هذا البلد؛ لتري كم نحن

متطورون عن غيرنا، ما نفعله هو أننا نحمي أنفسنا من خطر عالمكم فحسب.

فقلت له ساخرًا: ولماذا لا تنظر أنت إلى العالم بالأعلى وتطوره، العالم بالأعلى يعيش في القرن الحادي والعشرين، وينعم فى ذروة تطوره، أما أنتم هنا فلا زلتم تعيشون حياة القرون الأولى بعد الميلاد، لماذا لا تقارن بلدك إلا ببلدٍ ضعيف مثل سكريل؟ أهذ ما تُسكت به شعبك إن ثار! تقف وتخبرهم أن بلدهم أفضل حال من بلدٍ آخر كسكريل، وأن ظهورهم إلى العالم الخارجي من جديد لا يعنى إلا انهيار بلادهم وإعاده عصر الظلام من جديد، وأن من يفكر بالخروج من قارادوس ما هو إلا مجرم خائن للبلاد يتوجب معاقبته بالقتل.

لم أكن أدري سر تلك القوة التى كنت أتكلم بها، ولكن يبدو أن حديثي هذا قد أغضب الملك غضبًا شديدًا، حيث قالت الفتاة سيدي يقول: هراء! أعلم أنك تحاول خداعي بحديثك هذا، ولكني لست غبيًا لأصدقك، أنت هالك لا محالة، فحاول أن تستعد جيدًا، فبعد غد سأجعلك تجرب جزءًا صغيرًا من ما فعله بنا أجدادك قديمًا.

مارين

بعد أن أنهى الملك حديثه مع عامر وجه نظره إليَّ وقال: وأنتِ أيتها الفتاة، أشكرك بشدة؛ لأنه لولا كتابك هذا لما علمنا بمخطتكم هذا وظننا أنكم ما زلتم على العهد، ثم ابتسم وقال ساخرًا: عليك أن تشكرني؛ لأني لن أجعلك تشاهدين طنجار وهي تُمحى بعد أن أحولها إلى كومه من الرماد، فسأعلن الحرب على طنجار بعد غد، بعد أن يقوم جنودى بسلخ جلدك حية.

نظرت إليه، ثم ابتسمت وقلت هادئة: أتثق أن جيشك باستطاعته هزيمة طنجار بتلك السهوله! دعني أسألك سؤال سيدي، متى كانت آخر مرة رأيتم بها طنجار؟

لا أحتاج إجابة سيدي، لنرى ما تخبئه لنا الأيام القادمة فحسب.

فابتسم الملك وقال: لا يا صغيرتي، سأرى، أنا سأرى ما تخبئه الأيام القادمة، أما أنتِ فلن ترين شيء، لأنكِ ستكونين في عداد الموتى.

فأومات له برأسي غير مبالية قبل أن يصرف نظره عني ليوجهه نحو السيد أوليم الذي كان يقاوم إرهاقه الشديد ويحاول جاهدًا أن لا يسقط أرضًا.

وقال له: أما أنت أيها العجوز فلا أجد تفسيرًا لخيانتك.

فأجابه السيد أوليم بصوتٍ جاهد ليخرجه: صدقني يا سيدي هذا الفتى ليس المنتظر الذي تبحثون عنه.

فضحك الملك وقال: وإن كان، لماذا لم تخبرنا بمخطط طنجار بعد أن علمت؟

أخفض السيد أوليم رأسه ولم يرد على سؤال الملك، وكأنه لم يجد ما يقوله.

فاتبع الملك حديثه قائلًا: ألم تفكر بمصير آلاف البشر مِن مَن يعيشون بقارادوس وسكريل إن نجحت طنجار في مخطتها وأظهرونا للعالم من جديد؟

ألم تفكر بمصير ابنك وكيف سيعيش بين أهالي قارادوس بعد أن يعلم الجميع بأن أباه خائن للبلاد؟

من المؤكد أنك لم تفكر ولو لدقيقةٍ واحدة في هذا الأمر، ومن المؤكد أن أهل قارادوس جميعًا سيفخرون بما فعله ابنك، وسيُخلد التاريخ اسمه وسط رجال قارادوس العظماء، أما أنت

أيها الخائن فستكون أول من يُقتل في الاحتفال الذي سيقام بعد الغد الذي سيحضره ابنك بدعوه مني.

بعدها صاح الملك إلى جنوده، وأمرهم بأن يعيدونا إلى الزنزانة مجددًا.

وبعد وقتٍ قليل كنا داخل الزنزانة المظلمة مجددًا، وما هي إلا دقائق قليلة من الصمت بعد أن غادر الجنود، حتى وجدت عامر ينطق قائلًا: مارين أعلم أنك لا تودين التحدث إليَّ، أو حتى سماعي، ولكن ما دمنا سنموت لا محالة، فيجب عليكِ منحي فرصة واحدة لتسمعينى.

لم أحرك ساكنًا، ولكني وجدته يكمل حديثه قائلًا: أعلم أنني مهما تحدثت إليك أو اختلقت الحجج فلن أجد مبررًا واحدًا لما تسببت به، ولكني أريدك أن تعلمي جيدًا أني لم أكن أقصد حدوث شيء من هذا، ولا أعلم كيف وجد سلدون الكتاب، بالرغم أنى كنت قد خباته جيدًا بعيدًا عن الأعين.

قاطعته وقلت بنبرة حادة: هل تظن أني غبية يا عامر؟ أعلم جيدًا أنك لم تعطي الكتاب لسلدون، ولكن مصيبتك أكبر من هذا بكثير،

أنت خنت ثقتي بك، لم تُقدر ما منحتك إياه، لقد منحتك أعظم أسراري وأنت لم تستطع الحفاظ عليه، والفشل في الحفاظ على أسرار الآخرين خيانة حتى وإن كان عن غير عمد،

لقد خذلتني يا عامر، أتدري ما هو الخذلان يا عامر؟

الخذلان هو أن تُصدم على يد من وثقت بهم،

شعور مميت، هو أبغض شعور يمكن أن يُصيب المرء، فالخذلان لا يأتي إلا بغتة دون توقع مسبق أو استعداد فلا يضع المرء نسبة ولو ضئيلة جدًا لحدوثه، ولا يصيبك إلا على يد شخص قد ميزته عن الكثيرين غيره، ووهبته قدرًا من الثقة التي من فرطها أطلعته على خبايا روحك وعظيم أسرارك؛ إيمانًا منك باختلافه عن الآخرين، فإن خاب ظنك بهذا الشخص يتبدل كل شيء سريعًا، وتنهار ثقتك به، لتصيبك صدمة بحجم تلك الثقة التي كنت قد وهبته إياها.

الخذلان قد يقتل، الخذلان مميت، هل فهمت؟

فقال بنبره يائسة: أعلم أنك لن تسامحيني، ولن تغفري لي ما حدث، ولا أطلب منك ذلك، كل ما في الأمر أنني أريدك أن تكوني على يقينٍ تام أنني ما تمنيت يومًا أن تصير الأمور إلى

ما هي عليه الآن، وكيف لي أن أكون سببًا في أذى لك وأنا الذي صرت متعلقًا بك لدرجة أنني كنت أنتظر مرور الأيام يومًا تلو الآخر حتى أراكِ، كيف لي أن أكون سببًا في أذى لكِ؟ ولم يهون عليَّ ثقل الأيام بهذه الأرض شيء بقدر وجودك بجانبي.

ثم صمت قليلًا، وتنهد وقال: سأخبرك بشيء، ربما لن تأتي فرصة أخرى لأخبرك به، لقد أحببتك، أحببتك رغم كل ما مررت به داخل أرضكم هذه، أحببتك لأنك استطعتِ أن تعيدي إليَّ قلبي من جديد، قلبي الذي ذهب مع داليا وظننت أنه لن يعود مجددًا، أعدتيه أنت إليَّ، ومن ثم نفذتي إلى روحي؛ فأضئتها بعد انطفائِها، لكني فعلت ما أجيد فعله دومًا، "فشلت" يبدو أن أخي كان محقًا حين كان ينعتني بالفاشل، أستطيع الآن أن أقول أن لديه كل الحق، فقد فشلت في كل شيء في حياتي، فشلت في الحفاظ على وظيفة، وفشلت في حماية داليا، وفشلت أيضًا في الحفاظ على كتابك.

كنت أستمع إلى عامر وتتساقط من عيني الدموع بغزارة، فكم تمنيت أن أسمع منه تلك الكلمة، ولكن ليس في مثل هذا الوقت، فقلت له:

أتدري يا عامر، قضيت عمري وحيدة، لم أحيا حياة مستقرة قط، لم أشعر يومًا أني جزء من هذا المكان، أو أن هناك ما يخصني

به، إلا أن بدأت أشعر بشيءٍ ما تجاهك، شيئًا ما جعلني أنجذب إليك، وما أن تأكدت من حقيقة مشاعري تجاهك حتى قررت أن أخبرك بها، ولكن لسوء الحظ تزامن اليوم الذي قررت أن أخبرك به عن حبي لك مع اليوم الذي انهار فيه كل شيء.

عامر

ربما لو سمعت من مارين أنها تحبني في آنٍ آخر لكنت قد قفزت من شدة الفرح، ولكن مع اقترابي من النهاية أصبحت غير مبالي بشيء سوى أنني سبب كل ما حدث، فآثرت الصمت، ولم أعقب على ما قالته، إلا أنني شعرت بها تقترب مني، ثم أمسكت بيدي وهمست إليَّ قائلة: لن نموت يا عامر.

توقف كل شيء من حولي لثوانٍ حين سمعت ما قالته مارين، فسألتها متعجبًا: كيف؟

فقالت بصوتٍ منخفض: داليا، ستجلب داليا جيش طنجار من أجلنا.

فقلت متعجبًا: داليا!!!!!!!! كيف؟

فقالت: أتذكر داليا يا عامر؟ الحمامة التي سألتني عنها حين كنا في منزلي، وأخبرتك أن داليا هي من سمتها باسمها.

فقلت بهم: نعم أتذكرها، فقد رأيتها معك أكثر من مرة، ولكن كيف بتلك الحمامة أن تجلب جيش طنجار!

فقالت: داليا من نوع الديمار، وهذا النوع من الحمام يُستخدم للتواصل بين طنجار والراصدين، ثم أردفت: أتذكر حين حاوط الجنود حانوت السيد أوليم، وتركتني أنت وخرجت لتري ما يحدث بالخارج؟

فقلت: نعم أذكر.

فقالت: حينها خرجت خلفك واختلست النظر لأرى الجنود وهم ممسكين بالسيد أوليم،

لم أدري ماذا أفعل وقتها، ولكن سرعان ما طرأت بذهني فكرة أن أبعث رسالة إلى طنجار؛ لينقذونا، فأخرجت من حقيبتي ورقة وقلم، وكتبت رسالة استغاثة إلى طنجار، ثم ربطتها بين أرجل داليا وأطلقت سراحها سريعًا.

فسألتها متعجبًا: ولماذا قد يأتي جيش طنجار من أجلك؟

فأجابتني قائلة: لن يأتوا من أجلي أنا يا عامر.

فقلت: إن لم يأتوا من أجلك أنتِ، سيأتون من أجل مَن؟

فقالت: هل تعتقد أن طنجار ستقف مكتوفة الأيدي وتشاهد قارادوس من بعيد وهي تقتل المنتظر دون أي ردة فعل؟

فقلت متعجبًا: منتظر أي منتظ... ثم توقف لساني عن الكلام فجأة حين بدأت أدرك ما فعلته مارين، فسألتها إن كان ما فهمته صحيح أم لا،

فقالت: نعم ما فهمته صحيح يا عامر، لقد كان نص الرسالة التي أرسلت بها داليا هو

"المنتظر تحت قبضة جنود قارادوس"

كان هذا هو الخيار الوحيد أمامي.

فقلت: ولكنك تعلمين جيدًا أنني لست المنتظر!

فقالت: نعم أعلم، ولكن اسمعني جيدًا يا عامر، الحرب ستقوم عاجلًا أم آجلًا، فبعد أن علمت قارادوس بمخطط طنجار أصبح لا مفر من الحرب، ستتحد قارادوس وسكريل من أجل إبادة طنجار.

أتذكر يا عامر حين سألتني لماذا لا تحاربون قارادوس وسكريل، الآن صرنا مجبرين على الحرب، وأعلم جيدًا أن وجود المنتظر سيجعل طنجار على يقين أن الحرب لهم، فهو بالنسبة لهم الأمل في الخروج، كما أنه سيبث شيئًا من الخوف في قلوب قارادوس وسكريل، ومن المؤكد أن طنجار قد تواصلت مع جميع الراصدين المتواجدين في جميع أنحاء قارادوس بعد أن وصلتهم رسالتي، ومن المؤكد أيضًا أنها قد علمت بموعد الحفل الذي حُدد لتُقتل فيه، ولن يتركونا.

فقاطعتها قائلًا: أنا لست طرف في تلك الحرب، ولا أنوي أن أكون طرفًا بها، انسي الأمر.

فقالت في عتاب: لا تخذلني للمرة الثانية يا عامر، أنت الآن أمام فرصة عظيمة لإصلاح كل شيء، وترفض!!!! يبدو أن الصورة لم تتضح أمامك بعد، ولكن دعني أوضحها لك لتدرك أبعاد الموقف جيدًا، وبعدها افعل ما يمليه عليك عقلك.

وصمتت قليلًا ثم أردفت: بعد أن تتمكن طنجار من إنقاذنا سيكون أمامك خيارين لا ثالث لهما، الخيار الأول هو أن لا يعلم أحد أنك لست المنتظر، وتحافظ على حياتنا، والخيار الثاني وهو أن تخبر قادة طنجار أنك لست المنتظر، وحينها ستكون قد نجوت

من الموت في قارادوس، لتقتل داخل طنجار، وأنا معك، وحينها سيبغضني كل صغير وكبير داخل طنجار على ما فعلت.

أما الآن وبعد أن فهمت ما نحن بصدده سأتركك لتفكر جيدًا، وأثق أن عقلك سيرشدك إلى ما ينبغي عليك فعله.

آثرت الصمت على الإجابة، فما كان من مارين إلا أن عادت إلى مجلسها من جديد ليمر بعدها هذا اليوم واليوم الذي يليه دون أن يتفوه أحدنا بكلمة إلى الآخر، كل منا منفردًا مع عقله يفكر فيما سيحدث خلال الساعات القادمة.

شغلت ذهنى الكثير من الأسئلة بعدها، فهل حقًا ستنقذنا طنجار حين تعلم بوجود المنتظر؟ وإن استطاعت طنجار فعلها ماذا سيكون قراري حين إذ؟ هل أخبرهم بحقيقتى وحينها ربما يقتلوني أنا ومارين والسيد أوليم بعد أن كنا السبب فى إعلان الحرب عليهم بعد كشف مخططهم، أو أكذب عليهم وأخفي حقيقتي، وقتها إن استطاعوا إنقاذنا ربما نحظى بفرصة للعيش، وربما أحظى أنا بفرصة للرجوع لوطني إن انتصرت طنجار بتلك الحرب.

وبعد أن أرهقني التفكير كنت قد حسمت قراري، سأفعلها، ليس لأجلي، ولكن لأجل مارين، على الأقل إن استطاعت طنجار

إنقاذنا ستنجو هى لتعيش كبطلة لمدينتها ما لم يكتشف أحد أننى لست المنتظر.

كنا فى ساعاتٍ متأخرة من الليل، ولم يتبقى إلا ساعات قليلة على صباح يوم الحفل حين حسمت قراري، ولم يحدث أى جديد، وبدأ شعور اليأس يتسلل إلى قلبى غير أن مارين كان وجهها جامد مترقب، تنظر إلى باب الزنزانة، لا تحرك عيناها عنه، حين تحركت نحوها وجثوت أمامها على ركبتي، وأمسكت يديها وقلت: سأفعلها من أجلك يا مارين، أعدك إن تمكنت طنجار من إنقاذنا سأفعلها من أجل أن تغفري لي، ولتعلمي مدى حبي للكِ.

نظرت إليَّ مارين وقالت واثقة: سيأتون من أجلك يا عامر، أنا واثقة من ذلك.

قبل أن يقطع حديثنا صوت باب الزنزانة الذي فُتح ليدلف منه ثلاثة من الجنود ضخام البنية، بينما انتظر اثنان آخران خارج الزنزانة، فعلمت أن لحظة النهاية قد اقتربت، وأن هؤلاء الجنود جاءوا ليتوجهوا بنا إلى مرقدنا الأخير، إلا أن ما حدث كان غير ذلك تمامًا، فقد اقترب أحد أولائك الجنود من مارين فبادرته مارين قائلة: ازآر!!!!

فنطق هذا الجندى هامسًا: هيا انهضي يا مارين علينا التحرك سريعًا، وإلا كُشف أمرنا، ثم نظر إليَّ أنا والسيد أوليم وسألنا: من منكم المنتظر.
فأشارت مارين نحو: وقالت إن السيد عامر هو المنتظر، وهذا السيد أوليم ساعدنا كثيرًا.

فصافحني الجندي مُرحبًا، ثم قال: سنخرج من القصر عبر بابه الخلفي، فلا يؤمنه سوى أربعة من الجنود نستطيع قتلهم بكل سهولة، ثم نعبر الباب، ولكن سيكون علينا أولًا اجتياز بعض الممرات والطرقات حتى نصل إلى الباب الخلفي، ثم أكمل حديثه قائلًا يوجد أكثر من عشرة جنود من أكفأ جنود طنجار داخل القصر الآن، وفور أن نخرج من باب الزنزانة سيتم إطفاء جميع المصابيح في طريقنا المؤدي إلى الباب الخلفي، سيسود الهرج والمرج داخل القصر، ليس أمامنا إلا دقائق معدودة لنكون خارج القصر، سيرشدنا السيد "بارق" إلى الطريق، فهو راصد استطاع أن يكون من جنود هذا القصر لأكثر من ثلاثة أعوام، ثم أكمل حديثه قائلًا: سأسير أنا واثنان من الجنود في الأمام، ويتوسطنا المنتظر والسيد أوليم، ومن خلفهم مارين والجنديان الآخران بعد أن ألقي لمارين سيف، فالتقطته وحركته بضع حركات، بدا وكأنها تجيد استخدامه، ثم أشار إلينا ازآر بأن نبدأ التحرك.

وعلى الفور تقدمنا جميعًا عبر الممرات التي كانت قد أظلمت بالفعل، كنت بالكاد أستطيع رؤية السيد ازآر والجنديان، وأسمع الكثير من الهرج والمرج داخل القصر تتعالى الأصوات وتحركات الجنود من حولنا، تعثرت كثيرًا أنا والسيد أوليم أثناء سيرنا وسط الجنود، كنا لا نستطيع مجاراتهم، حيث بدا وكأنهم على قدرٍ عالٍ من التدريب والقدرة القتالية، وظهر ذلك جيدًا حين ظهر أمامنا ستة من جنود القصر يحملون شعلاتهم، وما أن رأونا حتى ركضو تجاهنا، ولكن آزار وجنوده قضوا عليهم في أقل من نصف دقيقة، ولكن ما أدهشني حقًا هو براعة مارين في القتال مثلهم تمامًا، حقًا كانت شخصية تلك الفتاة مليئة بالمفاجآت.

واصلنا السير في طريقنا، وكنا كلما عبرنا ممر ازددنا جنديًا ممن كانوا يؤمنون لنا الطريق، إلى أن وصلنا خارج القصر بعد أن أجهز آزار والجنود على الاربعة جنود الذين كانوا يؤمِّنون الباب الخلفي للقصر، وعلى الفور سمعنا دقات عالية من داخل القصر، لينتبه الجنود لهروبنا،

ولكن سرعان ما أتى أربعة من الفرسان يجرون بحبالهم مجموعة من الخيول، فركب كلًا منا حصانًا، وقبل أن نركض سكب جنديًا الزيت على البوابة وأشعل النار به، ليجبر جنود القصر على الخروج من الباب الأمامي حتى نكون قد ابتعدنا عنهم واختفينا عن أنظارهم.

ركضت بنا الخيول سريعًا مبتعدين بعد أن حاوطنى الجنود بخيولهم، لحمايتى من أي خطر قد يلحق بي، حيث بدأ جنود القصر يطلقون السهام من أعلى أبراج المراقبة الخاصة بالقصر، فسقط جنديان من صفنا قبل أن نبتعد عن القصر، ولقرابة خمس ساعات من الركض المتواصل عبر الظلام الحالك أصبحنا على مشارف سور طنجار.

كان الفراغ يحيط بطنجار من جميع الاتجاهات، غير أن سورها الشاهق المضاء بالكثير من الشعلات العملاقة أنار ظلمة الفراغ حوله، وفور أن اقتربنا من السور تقدمنا ثلاث جنود بخيولهم، وأشعلوا ثلاث شعلات ولوحوا بتلك الشعلات بطريقة منتظمة، ليرد عليهم ثلاثة جنود كانوا يقفون أعلى السور بنفس الطريقة، وما هى إلا لحظات وأطفئت جميع المشاعل من أعلى السور، وأظلمت الدنيا من حولنا، إلا أن شعلة ظهرت من بعيد أسفل خارج السور اقتادنا آزار نحوها على الفور، لاجدها بابًا سري لهذا السور الشاهق يتسع لمرور شخص واحد فقط، فعبرت أنا أولًا، ومن بعدى السيد أوليم ثم الجنود إلى داخل طنجار.

على الرغم من أن مارين أخبرتنى كثيرًا عن طنجار إلا أنها بدت وكأنها تغيرت كثيرًا بعد أن غادرتها منذ بضع سنوات خاصةً سورها الذى ظهر جيدًا بعد أن أضائه الجنود من جديد

فور عبورنا إلى الداخل، لذكر أنه دهشتي بلغت ذروتها حين أبصرت سورًا آخر داخل طنجار على بعد عشرة أمتار فقط من السور القديم، سور أقصر منه بقليل، ولكنه أعرض بكثير وأمتن، حين تمعنت فى النظر إليه وجدت أن طريقة بناؤه تختلف عن طريقة بناء السور القديم، فقد استخدمو الحديد المنصهر والصخور لبناء السور الجديد، مما زاد من صلابته، ما أشعرنى بالقليل من الاطمئنان بشأن ما هو قادم، فبوجود هذا السور الداعم للسور القديم سيكون من الصعب على جيوش قارادوس وسكريل اقتحام طنجار على الأقل لفتره ليست بالقليلة.

أما عن طنجار فقد اختلفت كثيرًا عن قرادوس، حيث الشوارع الواسعة الممهدة، والنقوش المميزة على الجدران والبيوت المتراصة المتناسقة في الشكل وعدد الطوابق والأعمدة الحديدية العالية التي تحمل الشعلات على جانبي الطرقات لتنيرها، أما عن سكان طنجار فقد بدو أكثر تحضرًا من سكان قرادوس، حيث كان الرجال يرتدون البناطيل والقمصان المميزة، فيما ارتدت النساء الفساتين الأنيقة، ولاحظت أن بعضهم كان يرتدي النظارات التى تشبه إلى حدٍ كبير مثيلاتها في عالمي، ولكن ما أدهشني حقًا هو أنى رأيت أحد الصبية يقود دراجة تشبه فى تصميمها الدراجات الهوائية التي أعرفها، مع اختلاف أنها ذات إطارات معدنية ليست هوائية.

والكثير والكثير من الاختراعات التي أدهشتني، فأدركت أن هؤلاء القوم يختلفون كثيرًا عن الباقين، هؤلاء القوم الذي تجمع الكثير منهم أمامنا أنا ومارين والجنود فور عبورنا السور الثاني، وبدت الدهشة على وجوههم جميعا وبدأو وبدأو يتسائلون فيما بينهم ما الذي يحدث فالتف الجنود من حولي أنا والسيد أوليم حين بدأ الناس يتسائلون عن ما إذا كان ما يفكرون به صحيح، وأن الراصدون قد نجحوا في جلب المنتظر إلى طنجار وعلت الصيحات والتهليل حين ابتسم آزار لأول مرة منذ أن رأيته وأشار إليهم بالإيجاب وقال بفخر: "أجل، أجل سيدي المنتظر وصل إلينا بسلام بعد أن أشار إلي " لتتوجه بعدها نظرات الجميع تجاهي مباشرة ويعلو الهتاف أكثر وأكثر وتجمع الكثير والكثير رجالا ونساء وأطفال وشيوخ من كل حدب وصوب، وأنا أقلب عيني بينهم يكاد قلبي أن يتوقف جراء تسارع دقاته من هول الموقف من حولي إلى أن تقابلت عيني بعين مارين، فأومات برأسها إلي وهي تبتسم ابتسامة خفيفة في إشارة منها بأن أهدأ قبل أن تصل أربع عربات خشبية فخمة تجرها الأحصنة فقام الجنود بصنع ممر لي من بين الحشود إلى إحدى العربات التي دخلت صومعتها الخشبية أنا والسيد أوليم ومارين وآزار؛ أما باقي الجنود فوزعو على باقي العربات وسرعان ما انطلقنا من بين الزحام الذي تضاعف كثيرا بعد أن بدأ الخبر في الانتشار سريعا، كنت أختلس النظر من نافذة العربة من حين لآخر فأجد البعض يلوح لي والبعض الآخر

يهتف " المنتظر، المنتظر" فآثرت أن أغلق النافذة حين بدأ ارتباكي يزيد وخشيت أن يلاحظه آزار ووجهت نظري مباشرة إلى مارين تكاد عيني تسألها "ماذا بعد؟؟؟؟؟"

مارين

كنت على يقين تام بأن طنجار ستفعل المستحيل لإنقاذ المنتظر لذا لم أتفاجئ حين رأيت آزار يفتح باب زنزانتنا.

أذكر أنه كان من أمهر الراصدين الذين سبقوني ببضع دفعات وامتلك شهرة واسعة داخل طنجار حيث فضل قادة طنجار على ابقائه لقيادة فرقة مختارة من الراصدين للقيام بمهام شديدة الخطورة داخل طنجار وخارجها.

طنجار المدينة التى أحببتها واعتززت بكوني أحد أبنائها المخلصين إلا أني خلال الأيام القليلة السابقة قد انتابني شعور داخلي بأني قد خنت حبي وإخلاصي لها بعد أن كذبت بشأن المنتظر رغم يقينى التام بأن عامر ليس المنتظر؛ ولكن ماذا عساي أن أفعل؟
فكنت أبرر لنفسي من حين لآخر بأن قيام الحرب، أصبح أمر حتمي بعد أن وقع كتابي في يد قارادوس وعلمهم بمخطط طنجار وأن ما فعلته هو أني أنقذت نفسي وأنقذت من أحببت ألا استحق هذا بعد كل ما قدمته لطنجار طوال حياتي!

على أية حال ما حدث قد حدث وكل ما يتوجب عليّ فعله الآن هو التفكير فيما هو قادم فلا أحد يدري ما تحمله لنا الأيام القادمة

والتي من المؤكد أنها ستكون أيام صعبة على أهل طنجار جميعا، فما هي إلا بضع ساعات وتتحول كل مظاهر الاحتفال والابتهاج المرتسمة على وجوه أهالي طنجار الفرحين بقدوم المنتظر إلى النقيض تماما بعد أن تجمع قارادوس، وسكريل جيوشهما ويأتوا للقضاء على طنجار وقتها ستتحول أنظار الجميع إلى عامر وحده آملين منه تحقيق النصر في تلك الحرب العظيمة ليتحمل هو وحده عبئ تلك الحرب التي تورط فيا رغما عنه،

عامر الذي كان كلما نظرت إليه وجدته ينظر إليّ وكأنه يستنجد بي فكنت أبتسم له ابتسامة خفيفة في محاولة مني لبث شيء من الطمأنينة داخله إلى أن بدأت العربات تهدئ من سرعتها حين اقتربنا من القصر الملكي وما إن عبرنا داخل حديقته عبر الطريق الممهد حتى توقفت بنا أمام باب القصر، فنزلنا من العربات لنجد استقبالا مهيبا حيث اصطف الجنود على الجانبين يتوسطهم الملك وكبار القادة، تقدمنا آزار بعد أن أشار إلينا بأن نتبعه حتى وصل أما الملك فانحنى أمامه ثم قال سيدي لقد تمت المهمة بنجاح ثم أشار إلى عامر وقال بفخر: أقدم لك سيدي المنتظر ثم تنحى جانبا ليكون عامر أمام الملك مباشرة، فمد الملك يده تجاه عامر وصافحه بحرارة ثم قال: مرحبا بك سيدى المنتظر ثم أردف قائلا: لقد أنتظر شعبنا هذا الحدث منذ مئات السنين،

ثم وجه الملك نظره تجاهي وأشار إليّ بأن اقترب فأسرعت أتقدم نحوه ثم انحنيت أمامه فربت بيده على كتفي ثم قال، مرحبا بعودة ابنتنا المخلصة، لن تنسى طنجار أبدا ما قدمته لنا بطلتنا الشابة بعدها أمر جنوده بأن يصطحبونا إلى الغرف التي قد أعدت لنا مسبقًا؛ لننال قسطًا من الراحة بعد ما عانيناه خلال أيامُنا السابقة.

سرت أنا وعامر والسيد أوليم خلف الجنود الذين اصطحبونا إلى الطابق العلوي للقصر ليدلف كل منا إلى غرفته،

كنت بحاجة إلى الحديث مع عامر ولكن جسدي كان بحاجة إلى القليل من الراحة فنزعت ملابسي فور أن دلفت إلى غرفتي واستحممت ثم بدلت ملابسي بعد أن طلبت من إحدى خادمات القصر أن تُحضر لي ثوبًا جديدًا بعدها ألقيت بجسدي على السرير، وأغمضت عيني لأنعم ببعض النوم إلا أنى سمعت طرقات على باب غرفتي؛ فنهضت وفتحت الباب لأجد أحد الجنود يخبرني بأن المنتظر يريدني أن آتي إلى غرفته، فذهبت معه على الفور ودخلت إلى غرفة عامر ثم خرج الجندي وأغلق الباب خلفه لأجد عامر واقف خلف إحدى نوافذ غرفته شاردًا! كان بنفس هيئته التي كان عليها لم يبدل ملابسه، وما أن رأني حتى تقدم إلي واحتضنني بقوة، ثم همس فى أذني وقال باكيًا ،لقد نجونا يا مارين.

تفاجئت من ردة فعله ألا أنى لا أستطيع أن أنكر أني كنت بحاجة إلى هذا الحضن، فأنساب جسدي قليلًا بعد أن شعرت بطمئنينة غابت عني لسنوات كثيرة، فأرحت رأسي على كتفه، ولففت يداي حول جسده، وقُلت والدموع تسيل من عيني : كانت نهايتنا وشيكه.

فقال :كنت خائف جدًا من أن ينتهي كل شيء بسببي.

فقلت: كان حظنا جيدًا هذه المرة.

فقال: نعم، ولكن هل لديك أي فكرة أو خطة لما هو قادم؟

فقلت : ليس بعد، ولكن من الآن لا تنسى أنك أنت المنتظر وتذكر جيدًا أن الجميع هنا سينصاع لأوامرك، حاول أن تكسب القليل من الوقت، وسنجلس سويًا لنفكر، واثق أن الدنيا التي جمعتنا بعد أن تفرقنا لعام كامل، ونجتنا بعد أن كنا على حافه الموت، لن تبخل علينا بفرصة أخرى لنصلح كل شيء،

ثم تابعت ،حاول أن تنال قسط من الراحة قبل أن يدعونا الملك للحديث معه وسأذهب إلى النوم أنا أيضًا، بعدها عدت إلى غرفتي واستلقيت على سريري، لأنام إلا أنني كنت كلما حاولت

أن أنام تذكرت حضن عامر لي؛ فأبتسم خجلًا وأغطي وجهي إلى أن غلبني التعب، واستلمت للنوم أخيرًا.

مع حلول الليل أيقظتني طرقات أحد خادمات القصر على باب غرفتي، فقمت وفتحتُ الباب لتخبرني أن الملك سيلتقي بنا بعد قليل في بهو القصر؛ لنتناول العشاء سويًا، وأعطتني فستانًا من الحرير الأسود وغادرت، على الفور جهزتُ نفسي للقاء الملك، وارتديت فستاني وهبطت مع إحدى الخادمات إلى بهو القصر، فوجدت مائدة كبيرة قد تم إعدادها من أجلنا، بها أصناف كثيرة من الطعام الفاخر، فتقدمت واتخذت مقعدًا لتمر بضع دقائق قبل أن يظهر عامر وهو يهبط درجات السلم، ومن جانبه السيد أوليم مستندًا إليه، كان يرتدي معطفًا بُني من الجلد الفاخر، وبنطالًا أسودًا أنيق، فبدى أكثر أناقةً غير أنه كان قد هذب لحيتهُ، وترك شعره الطويل، فبدى أكثر وسامة، ابتسمتُ له حين نظر إلي واقترب ليجلس بجواري، ثم قال: تبدين رائعة، وسألني مغازلًا: كيف لعيني أن تُصدق أن تلك الراصدة القوية التي رأتها تقاتل ببراعة، هى نفسها الفتاة ذات الأنوسة الطاغية التي ترتدي هذا الفستان الأسود الرائع؟

فاحمر وجهي خجلًا، ثم قلت له: تبدو أكثر أناقة.

ثم قطع حديثنا صوت الملك حين قال وهو مقبل علينا: مرحبًا بك سيدي المنتظر، فنهضنا جميعًا من مجلسنا، فجلس الملك فى منتصف المائدة ثم أشار إلينا بأن نجلس.
بدأنا نأكل وبدأ الملك حديثه قائلًا: أعرفكم بنفسي.. أنا الملك أوديم، الملك المخلص لطنجار، ونظر إلى عامر ثم تابع: سأساعدك أنا وشعبي قدر المستطاع لتنجح فى مهمتك، وتحقق حلمنا وتخرجنا لنرى شمس عالمكم بعد أن انتظرنا قدومك طويلًا، غدًا سيُقام حفل كبير لتقديمك إلى شعب طنجار المتشوق لرؤيتك، ولتكريم بطلتنا الشابة، أما بعد غد فسنجتمع مع القادة لتخبرنا بخطتك، أما الآن فعليك أن ترتاح من رحلتك الشاقة إلى طنجار.

بعدها أنهى الملك حديثه واستأذننا وغادر إلى غرفته.

بعد أن انتهى عامر من طعامه سألني أن نذهب للسير قليلًا في حديقة القصر؛ لنتحدث سويًا، فوافقته على الفور، وسرنا سويًا نحو الحديقة فبادرته قائلة: أرى أن توترك قد زال !

فأجابني مُبتسمًا : وهل لي أن أخاف بعد كل ما مررت به؟
ثم تابع: لم أكن خائفًا على نفسي قط، بل كنت أخشى أن يُكشف أمرك ولكن ما أن رأيت إستقبال الملك لكِ حتى زال قلقي.

فقلت له : هل حقًا تحبني إلى هذه الدرجة يا عامر؟

فنظر إلى عيني مباشرة وقال: وكيف لي أن لا أحبك ولولاكِ لانهار ما تبقى من روحي؟
كدت أصاب بالجنون من شده وحدتي بأرضكم وعشت عام هو الأكثر قسوة بحياتي، ومع ظهورك فى حياتي من جديد أعدتي ترميم روحي وجمعتي شتاتها، فأسرني جمال روحك ووقعت بحبك وأصبحت كل ما أملك بهذه الأرض .

حاولت أن أغير مجرى الحديث بعد أن احمر وجهي خجلًا من حديث عامر عن حبه لي، فاصطنعت الجدية وقلت: أمامنا القليل من الوقت قبل أن تصل الجيوش، ثم نهضت من جلستي وتابعت: علينا أن نصعد إلى الأعلى ونفكر معًا بصوت عالٍ؛ لعلنا نجد طريقة تمكننا من عبور أيامنا المقبلة.

فابتسم عامر وقال : فكرةٌ جيدة.

دخلنا القصر، ثم دلفنا إلى غرفة عامر الذي اتخذ مجلسه على مقعد خشبي لطاولة توسطت غرفته وبادرني قائلًا: إذًا هل لديكِ خطة؟

فجلست على الكرسي المقابل له وقلت: لا.

فقال: إذًا احضري لنا قلمًا وبعض الورق.

سألت الخادمة أن تحضرهم لي، فأتت بهم على الفور، فاخذهم عامر وبدأ برسم بعض الدوائر، فسألته ماذا تفعل؟

فأجابني متأثرًا: افعل كما كانت تفعل داليا دومًا، كانت تُحلل الموقف، وتُرتب أفكارها بهذه الطريقة، كانت تقول إن تلك الطريقة تُساعدها على إيجاد الحلول .
وتابع بعد أن كتب في الدائرة الأولى "طنجار"، والثانية "قارادوس"، والثالثة "سكريل"، والرابعة "المنتظر"، والخامسة "حرب كبيرة":

"سيصل جيش قارادوس وجيش سكريل خلال الأيام القليلة المقبلة، ومن المتوقع أن تكون أعدادهم أضعاف أعداد جيش طنجار، مما يعني أننا يجب أن نتجنب الحرب المباشرة معهم، حيث تكمن قوتهم في كثرة أعدادهم. أما جيش طنجار، فلا يتجاوز عددهم ثمن عدد جيوشهم، إلا أنه محتمي بسور يدعمه سور أقوى يمكنه من الاحتماء به."

فقاطعته قائلة: "ولكن لا بد لهذه الحرب من منتصر، فلا تتوقع أن تصمد تلك الأسوار كثيرًا، فمن المؤكد أنهم سيحاولون اختراقها بشتى الطرق وربما ينجحون في ذلك."

فقال: "من المؤكد أيضًا أننا لن نبني خطتنا على البقاء داخل طنجار والاحتماء خلف أسوارها، فهذا لا يعني إلا تأجيل الحرب لا أكثر، أو في أفضل الأحوال بقاء الوضع على ما هو عليه."

ثم تابع: "أرى أن دخولي إلى عالمكم كان ذا فائدة كبيرة لكم، فقد أصبحتم على علم بمكان إحدى البوابات الآن، ولكن ما يعيق خروجكم هو حربكم مع سكريل وطنجار."

فقلت: "بلى."

فقال: "إذاً فالصدام قادم لا محالة."

فسألته: "هل تعتقد أننا نملك أي فرصة للفوز بتلك الحرب؟"

فأجابني يائسًا: "لا أعتقد أن خيار الحرب قد يرجح كفتنا."

فأملت رأسي إلى الخلف وقلت في يأس: "نحتاج إلى معجزة تقلب موازين تلك الحرب."

فأنتبه عامر لحديثي، وبدا وكأن فكرة ما قد استنارت في عقله، إلا أنه لم يعقب بكلمة.

فسألته متلهفة إن كان قد وجد فكرة.

فقال: "ليس بعد."

قضينا ساعات الليل نتناقش في أمر الحرب إلى أن أتعب التفكير عقولنا، فاستأذنت عامر وعدت إلى غرفتي لأنال قسطًا من النوم قبل الحفل.

وفي صباح يوم الحفل، لم توقظني إلا أصوات الاحتفالات القادمة من ساحة القصر الكبيرة، فنهضت سريعًا ونظرت من نافذة غرفتي، فوجدت الكثير من أهل طنجار قد بدأوا في الاحتشاد بساحة القصر. وما هي إلا دقائق قليلة حتى وجدت إحدى الخادمات تدلف إليّ بفستان أعد خصيصًا لحفل اليوم، وأخبرتني أن أستعد للحفل بعد ساعة.

بدأ شعوري بالقلق يتزايد مع اقتراب بدء الحفل، وزاد إحساسي بالخطر بعد أن كان قد هدأ قليلاً، إلا أنني استطعت في النهاية أن أسيطر على عقلي وأطرد تلك الأفكار السيئة بعيدًا. وبعد

مضي ساعة بالتمام والكمال، كنت أسير أنا وعامر خلف أحد جنود القصر متجهين إلى ساحة القصر وسط هتاف الآلاف من أهالي طنجار المحتشدين من حولنا.

صعدنا مبنى هرميًّا شاهق الارتفاع كان يتوسط ساحة القصر. رُصَّت مصاطبه الصخرية فوق بعضها بشكل هرمي مدرج، وأحيطت مسطتبته العليا بسياج حديدي طوله متر تقريبًا، علقت عليه المشاعل المضيئة بمسافات متساوية من جميع جوانبه. كان الملك وكبار القادة يجلسون على كراسٍ فخمة توسطت تلك المصطبة العليا، وما أن صعدنا حتى نهض الملك لتحيتنا، ثم توجه إلى السياج الحديدي ونظر إلى الأسفل ورفع يده فسكت كل من في الساحة، وقال:

"مرحبًا بكم جميعًا أيها السيدات والسادة. إن اليوم ليس كأي يوم مضى على طنجار، اليوم يبدأ شعب طنجار الأبي في حصاد ثمار تعبه وجهوده لأعوام كثيرة مضت. اليوم تحققت نبوءتنا ووصل إلينا بسلام ضيفنا الذي طال انتظاره. أيها السيدات والسادة، رحبوا معي... بالمنتظر.

عامر:
"إن القدرة الحقيقية لكل منا تظهر جليّة حين يصبح ما فُرض عليه أمرًا حتميًا. وقتها فقط يُدرك العقل أنه عليه أن يُنحي الاحتمالات جانبًا ليبدع في إيجاد الحلول."

كنت قد حسمت أمري ورتبت أفكاري جيدًا واستعددت لهذه اللحظة، إلا أن قلبي دق سريعًا بعد أن توجه نظر جميع الحاضرين نحوي وبدأوا يهتفون: "المنتظر! المنتظر! المنتظر!"

ولكن سرعان ما تمالكت نفسي وتقدمت إلى الأمام قليلاً تجاه السياج الحديدي، ثم وقفت خلفه وقلت:

"مرحبًا بكم جميعًا، أرجو أن تنصتوا إليّ جيدًا. اسمي عامر، أو كما تقولون 'المنتظر'. في البداية، أود أن أطرح عليكم بعض الأسئلة: هل تودون الصعود إلى الأعلى ورؤية أشعة الشمس كما تراها بلدان العالم في الأعلى؟ هل تودون أن تنعموا بليل ونهار منتظمين؟ هل تودون رؤية القمر يتوسط السماء؟ هل سئمتم من حياة الظلام تلك التي لا يزوركم ضوء الشمس فيها إلا لساعتين على الأكثر، وبالكاد يلامس الأجزاء العلوية من مدينتكم؟ أما سئمتم حياة المشاعل تلك؟."

فأجاب الجميع مستنكرين: "نعم!"

فقلت: "وأنا أيضًا أود الخروج من هنا معكم والعودة إلى الأعلى من جديد. ولكن هذا الحلم يحتاج إلى مزيد من العناء لتحقيقه. فمن يعتقد منكم أن الخروج من هنا سيكون سهلاً، فأسفٌ لإخباره أن الأمر ليس كما يعتقد، فكما ترونني شخصًا عاديًا مثلكم، لا أحمل بيدي عصا سحرية، ولكنني أؤمن أن قوة العقل والعزيمة فقط هما من سيخرجانا من هنا."

تبدلت وجوه الحاضرين من وجوه فرحة تغطيها السعادة إلى وجوه غاضبة غير راضية عن حديثي. ازدادت الأحاديث الجانبية وتداخلت أصوات الحاضرين، ورأيت الملك والقادة ينظرون إلى بعضهم البعض مترقبين. أما مارين فلم تستطع أن تخفي قلقها وارتباكها، وظلت تحدق في وجهي باستغراب شديد.

فأكملت حديثي بصوت أعلى وأكثر حزمًا وصحت قائلًا:

"اسمعوني جيدًا، ستصل الجيوش وتحاصر مدينتنا خلال الساعات القادمة. تفوق أعدادهم أعدادنا بكثير."

فارتفع صوت الحاضرين أكثر وأكثر.

فصرخت بكل ما أوتيت من قوه وقلت :لدي خطة سترجح كفه تلك الحرب لصالحنا

فهدأت أصوات الحاضرين وانتبهو جميعا لحديثي بعد أن عادت ملامح السعاد على وجوههم من جديد.

فعدت عليهم ما قلت: لدي خطة سترجح كفه تلك الحرب لصالحنا فقط إن ساعدتمونى ووثقتم بي هل تثقون بمنتظركم؟

فتعالت أصوات الحاضرين : بكل تأكيد.

ثم هتفو جميعا " المنتظر، المنتظر، المنتظر "

عدت إلى الخلف وسط هتاف جميع الحاضرين بأسمى بعد أن انتهيت من حديثى وتقدم الملك من جديد ليكمل مراسم الحفل إلا أني لم أنتبه لحديثه بعد أن وجدت مارين الواقفة بجانبى تهمس في أذني وتسألني في اندهاش:

ماذا ستفعل يا عامر؟

فنظرت في عينيها وقلت واثقا: سأصنع لكِ المعجزه التي تمنيتِها .... سأقلب موازين تلك الحرب.

اتسعت عيناها وكادت أن تنطق لولا أن دعاها الملك أوديم لأن تتقدم نحوه ليكرمها فتقدمت إليه على الفور ليحيها جميع الحاضرين.

لم تتوقف مارين عن سؤالى بشأن ما أنوي فعله فور أن انتهى الحفل فانتظرت حتى وصلنا إلى غرفتي ثم حدثتها قائلا: إذا افترضنا أن لتلك الحرب ثلاثة نقاط قوة...

النقطة الأولى؛ هي عدد الجنود، أما الثانية فهى المكان، أما الثالثه فهى السلاح.

يتفوقون علينا فى كثرة أعدادهم بينما تتفوق عليهم نحن بالمكان المحصن، يتبقى ماذا؟

فقالت: يتبقى السلاح.

فقلت: هذا بالضبط ما أنوي فعله.

فقالت: لا أفهم ما تعنيه.

فقلت: لقد أوحيتِ لي بفكره عظيمة حين كنا نناقش أمر الحرب ليلة أمس حين قولتي أننا نحتاج إلى أن نقلب موازين الحرب

وقتها تذكرت تاريخ عالمنا بالاعلى وكيف أنه ملئ بالكثير من حكايات الحروب وكيف قلبت الأسلحة الجديدة موازين تلك الحروب فأصبحت الدول بالأعلى تتفنن فى صناعه الاسلحه المدمره وتتباها بقدره تلك الأسلحة على قتل الآلاف بل الملايين من البشر، كالمدافع التي قلبت موازين الحروب قديما والرشاشات و البنادق والقنابل النوويه حديثا.

فقاطعتنى مارين قائلة: وهل ستصنع لنا هذه القنبلة النووا .....النووية تلك؟

فضحكت بصوت عالٍ ثم قلت مبتسما: بالتأكيد لا، إن صناعه مثل هذه القنابل ليس بتلك السهوله التى تعتقدينها أنه أمر شديد التعقيد ثم إن قنبلة كهذه تستطيع إبادة طنجار كامله فى ثوانٍ معدودة كما أني لست بهذا الشر.

فقالت بعد أن بدأ صبرها ينفذ: إذا ما هو سلاحك يا عامر

فقلت: قديما بدل البارود مصائر حروب عدة، وأنا أنوى استخدامه في صناعة مقذوفات شديدة الانفجار.

فسألتنى مستفهمة: وما هو البارود؟

فقلت: هى مادة استخدمت قديما فى الحروب بالأعلى وكانت بدايه لعصر الاسلحة الحديثه أما الآن فقد استبدلته الدول بمواد أشد منه تفجيرا وأعتقد أنه سيكون مناسب لحسم حربكم ضد قارادوس، وسكريل، فعلى الرغم من كونه أصبح من الأسلحة القديمه بالأعلى إلا أنه قادر على أن يغير مصير تلك الحرب هنا بالأسفل بالإضافة إلى أن تصنيعه بسيط وغير معقد والمواد المستخدمه لتكوينه سهل الحصول عليها من الطبيعة.

فقالت: هل أنت واثق من انك تستطيع فعلها؟

فقلت: ليس أمامنا خيارا آخر.

ثم طلبت منها أن تذهب إلى غرفتها بعد ما زاد شعوري بالنعاس جراء سهرى طيلة الليلة السابقه للحفل من شدة التفكير، فاستأذنتني وعادت إلى غرفتها بعد أن اخبرتنى أن أرسل لها الخادمة حين أستيقظ وغصت أنا فى نوم عميق.

أدركت أن جسدى كان منهكا حقا حين استيقظت لأجد نفس قد نمت لساعات كثيره بعد أن طرق أحد الجنود باب غرفتى وأخبرني أن الملك يطلب حضورى على الفور، فسألته عن الوقت فأخبرنى أننا فى الثلث الأخير من الليل.

فقلت له وأنا أتثاءب، حسنا سأبدل ملابسي وآتى معك، وما هى الادقائق قليله قبل أن أرتدى ثيابي، وأتحرك خلفه متجهين إلى إحدى غرف القصر حيث كان الملك جالس يتوسط طاولة كبيرة وعلى جانبيه القادة الذين رأيتهم يوم الحفل، دلفت إليهم فأشار الملك لي بأن أتخذ مجلسا بينهم ثم بادرنى قائلا: وصلت إلينا قبل قليل أخبار عن وصول الجيوش فقد رأى جنود الاستطلاع المتمركزين بأبراج المراقبة الخاصه بالأسوار تجمعات كبيره للجنود عند المنحدرات فى جهه الجنوب كما أرسل لنا راصدونا بالخارج رسائل توكد اقتراب وصول فرق أخرى من الجيوش من الجهه الشماليه.

ثم أشار الى أن أتقدم إليه وقال: الآن أريد منك أن تشرح لنا بالضبط خطتك حتى نتمكن من تقديم الدعم الكامل لك.

نهضت من مجلسي وبدأت أشرح لهم الخطة كاملة، فى البدايه كان الأمر بالنسبه لهم غريبا وبدو غير مستوعبين لفكره البارود والمدافع إلا أنى بعد مزيد من الشرح المفصل وسرد تاريخ تلك الأسلحة وآلايه عملها اقتنعوا اخيرا وخبرتهم أيضا ان الأمر قد يستغرق الكثير من الوقت وأن عليهم أن يمنعو تقدم الجيوش إلى الاسوار قدر المستطاع

فنطق أحد القادة العسكريين: نستطيع نشر ما يزيد عن ألفي جندى من الرماة الماهرين ليعمنعو بسهامهم اى تقدم نحو السور وبتلك الطريقه لن تستطيع جيوشهم هدم الأسوار.

فرد عليه الملك: ولدينا من السهام مايكفينا مهما طالت الحرب.

ثم سأل القاده إن كان لدى أي منهم اعتراض على تلك الخطه فأجابوه جميعا بالنفي.

فنظر إلي وقال: أثق بك أنا وشعبى فلا تخذلنا، منذ تلك اللحظة أعتبر كل شئ فوق أرض طنجار أصبح مسخر لتنفيذ أوامرك.

فقلت له: وأنا ايضا اثق في قدرة شعب طنجار على تخطى تلك الايام القادمة.

بعدها وجه الملك أوديم نظره إلى جديا كان يقف على الباب وسأله أن كانت العربات قد أصبحت جاهزه للتحرك فأجابه الجندي بالايجاب، فنهض الملك والقاده بعد أن أن طلب منى مرافقته إلى الجبهه الجنوبيه من السور لمتابعه الوضع هناك واستعدادات الجيش للمعركه التى باتت على المحك.

وعلى الفور تحركت بنا العربات إلى الجبهه الجنوبيه التى كانت تبعد عن القصر بمسيرة ثلاث ساعات بالعربات ،وما إن وصلنا إلى هناك حتى توقفت العربات أمام اصطفاف للجنود على الجانبين لأتفاجئ حين خرجت من العربه بأعداد الجنود الهائله المصطفه فى فرق كثيره وزعت بشكل منسق على الجهه الجنوبيه لسور طنجار ،على الفور تقدم إلينا احد القاده العسكريين ومد يده ليصافح الملك اوديم ثم قال فى شموخ: أن الجيش على أتم الاستعداد والجاهزيه القصوى سيدي.

فسأله الملك: وماذا عن جيوش العدو؟

فقال: أعدادهم تتزايد كل ساعه.

فقال الملك: أود أن ألقى نظرة.

فقال: أمرك سيدي.

ثم صعدنا أحد أبراج المراقبه بالسور لأشعر بانقباضة فى صدرى لم أشعر مثيلاتها من قبل بعد أن رأيت الأعداد العظيمه للجنود خارج طنجار، فنظرت إلى الملك أوديم الذى تفاجأ تماما مثلى وارتسم القلق على وجهه ثم نظر إلى عيني مباشره تكاد نظراته تتوسل إلي بأن لا اخذلهم ،بعدها عدنا إلى الأسفل ثم

اتجهنا الى خيمه كانت قد أعدت مسبقا لقدوم الملك، وكان يتوسطها طاوله خشبيه موضوع عليها خريطه لميجورا كامله ،وقفنا جميعا حول تلك الطاولة نستمع إلى القائد العسكرى وهو يشرح لنا الأوضاع داخل طنجار وخارجها حيث أخبرنا أن ثلث فرق الجيش جاهزه لتتفرق وتوزع على امتداد السور من جميع الاتجاهات بعد أن يتم إخلاء تلك المناطق من السكان ،اما الثلث الثانى من الجيش سوف توزع فرقه في محاذاة خلف الجيش الاول ولاكن على بعد اربعه كيلو مترات داخل عمق طنجار ليكون خط الدفاع الثانى اما الثلث المتبقى سيتمركز فى القلب ليكون خط الدفاع الاقوى والاخير إن استطاعو اختراق السور والتغلب على خط الدفاع الأول والثانى.

وقفت ذاهلا بعد أن انتهى القائد العسكرى من شرحه حيث فوجئت بقوه تنظيم الجيش الغير متوقعة، بعدها أكمل القائد العسكرى موجها حديثه إلى الملك أوديم: تلك هي خطة الدفاع الأساسية، الآن اخبرنا بالضبط ما تنوى فعله سيدي.

فطلب منى الملك اوديم أن اشرح له ما انوى فعله شرحا دقيقا.

فبدأت اشرح له أمر المتفجرات التى انوى تصنيعها لتكون العامل الرئيسي للفوز بالحرب واخبرته أن دور الجيش الأهم فى الوقت الراهن هو منع تقدم جيوش قارادوس وسكريل

لاختراق السور ثم طلبت منه أن ينشر أمهر الرماة على امتداد السور.

فقاطع حديثنا الملك أوديم قائلا: كنت أود أن يكون عدد الرماة الفى رامٍ؛ ولكن بعد أن رئيت الاعداد الغفيره للجيوش خارج السور أرى أن نضاعف العدد.

فرد القائد العسكرى فى هدوء: لن يتحمل السور هذا العدد سيدي، سأحاول قدر المستطاع أن أرفع العدد إلى ثلاثه الاف رامى من امهر رماه طنجار ولن نحتاج إلى أكثر من ذالك فالسور محاط من جميع جوانبه بصحراء مكشوفه،ان تقدمت جنودهم ستكون اهداف سهله تخترقها سهام جنودنا .

فسألته: هل تعتقد سيدى أنهم سيقومون بالهجوم ؟

فقال بعد ان فكر قليلا: يعلمون جيدا أن بقائنا داخل طنجار محاصرين لن يضرنا فى شئ لطالما اعتدنا الحياه خلف أسوارها ،هم من سيعانون أن طالت مده الحرب وهم يقبعون أمام الأسوار تاركين بلادهم وعملهم و ذويهم ،لذا أرجح وبشده أنهم سيحاولون بشتى الطرق اقتحام المدينه ،لهذا يجب عليك أن تبدأ فى تنفيذ خطتك فمنذ تلك اللحظه لن يكون الوقت فى صالحنا.

قال الملك أوديم: إذا فلتخبرنا ما الذى تحتاج إليه بالضبط حتى نتمكن من تجهيز احتياجاتك في أسرع وقت

فقلت: فأخرجت ورقة من جيبى رسمت عليها مسبقا أنبوب معدني وأشرت إليه باصبعى وقلت اريد تصنيع عدد كبير بأحجام مختلفه من هذا المدفع.

فقال الملك: لدينا مصنع ضخم لصهر المعادن فى الغرب سيأخذك الحرس إلى هناك، سينصاع الجميع لأوامرك فقط أخبرهم بما تريد.

فقلت: أيضا سأحتاج إلى كميات كبيرة من الفحم، والملح الصخري، والكبريت إضافة إلى مساحة فارغة لاختبار القذائف ومداها وقوت تفجيرها.

فقال الملك أوديم: لدينا مخزون كبير من الفحم داخل طنجار أما الملح الصخري والكبريت فربما يساعدوك فى دار المشتقات، سأمر بتجهيز مختبر لك بالغرب قرب مصنع صهر المعادن وهناك مساحات كبيرة غير مأهولة بالسكان ستكون آمنة لاختبار قذائفك، إضافة إلى ذلك سأرسل معك فريق من علماء دار المشتقات ليساعدوك.

قاطع حديثنا ضابطا عسكريا دخل إلى الخيمه مسرعا وتحدث إلى القائد العسكرى بعد أن ألقى التحيه : سيدى أعتقد أنهم يستعدون للهجوم، ووصلتنا أخبار عن وصول الجيوش إلى الجهة الشمالية أيضا
على الفور تحركنا وصعدنا الدرج مجددا؛ لنجد الجنود قد اصطفوا في تشكيلات بدت وكأنها تستعد للهجوم، ومن بين تلك الحشود تقدم فارس على جواده وبدأ في الاقتراب من السور فقال القائد العسكري للملك أوديم: إنه رسول من الملك سيدي.

اقترب الفارس من السور، ثم هبط عن جواده ونظر إلى أعلى وقال بصوت عالٍ:
"أتيت برسالة إلى الملك أوديم."

فنظر القائد العسكري إلى الملك، الذي أومأ له برأسه.

فقال القائد: "الملك أوديم يسمعك، اقرأ رسالتك."

فأخرج الفارس ورقة من حقيبته وبدأ يقرأها:

"من الملك طوليس ملك قارادوس، والملك أشهب ملك سكريل، إلى الملك أوديم ملك طنجار:

طبقًا للاتفاقيات القديمة المبرمة بين المدن الثلاث، تعتبر مدينة طنجار خائنة للاتفاق. لذا؛ نأمركم بفتح أبواب أسواركم والاستسلام الفوري دون مقاومة، والخضوع لحكمنا، هذا إن أردتم تجنب تدمير مدينتكم والحفاظ على أبنائها. أما إذا اخترتم الحرب، فهنيئًا لكم الهلاك."

ثم أغلق الفارس الورقة وأعادها إلى جيبه مرة أخرى.

فقال الملك أوديم بوقار بالغ: "عد إلى قادتك وأخبرهم أن الهلاك سيكون مصير كل من يعيق طنجار عن تحقيق حلمها."

امتطى الفارس جواده مجددًا ثم استدار عائدًا إلى قادته ليختفي عن أبصارنا بعد توغله بين الصفوف، ليخبر قادته.
لم تمر سوى دقائق قليلة حتى علت أصوات الأبواق، إشارةً لبدء الهجوم، اندفعت حشود الجنود كالسيل تجاه السور، فرفع القائد العسكري يده عاليًا مغلقًا قبضته، فاستعد الرماة وصوبوا سهامهم إلى أعلى، ومع اقتراب جنود العدو من نقطة معينة، فتح القائد العسكري قبضته، فأطلق الجنود سهامهم لترتفع عاليًا لمسافات طويلة، ثم سقطت مخترقةً أجساد الجنود المتقدمين نحونا، ثم أعاد الرماة تلقيم سهامهم والتصويب من جديد بسرعة أذهلتني، واستمر الهجوم لأكثر من نصف ساعة استطاع خلالها رماة طنجار الماهرون التصدي للهجوم ببراعة وكفاءة لا

تضاهى؛ ليوقن قادة جيوش سكريل وقارادوس أن استمرارهم في هذا الهجوم لن يجدي نفعًا، بل سيفقدهم المزيد من الجنود إن استمروا، فأمروا بإيقاف الهجوم والانسحاب إلى الخلف مرة أخرى.

وقتها، تعالت صيحات الرماة أعلى السور فرحين بانتصارهم في الجولة الأولى من الحرب، وتعالت صيحاتي أنا أيضًا معهم بعد أن شعرت لأول مرة أنني أنتمي إلى هؤلاء القوم، وأنني جزء من حلمهم، حلم طنجار.

كان ضوء الشمس قد بدأ يتلاشى حين انطلقتُ أنا واثنان من حراس الملك في طريقنا إلى القصر الملكي لأحضر بعض الأوراق التي كتبتها خلال اليومين السابقين عن تركيب المتفجرات، وتركتها في غرفتي مدعيًا أنني سأحتاج إليها قبل ذهابي إلى الغرب. غير أن السبب الحقيقي وراء عودتي إلى القصر كان لوداع مارين.

مارين

لم يكن استيقاظي في اليوم التالي للحفل على خبر وصول الجيوش وبدأ الحرب أمرًا مفاجئًا، بل كان متوقعًا منذ اليوم الأول لعودتي إلى طنجار.

وعلى الفور، تم استدعائي للقتال مع الجيش في فرقة يقودها آزار، لكوني أحد الراصدين.

وكل راصد بالأساس هو جندي من الطراز الرفيع.

توجهت إلى مكان تمركز الفرقة التي أنتمي إليها، والتي علمت لاحقًا أنها إحدى فرق خط الدفاع الثالث المتمركزة في قلب طنجار. وتناقلت الأخبار من حولي أن المنتظر قد ذهب إلى الغرب ليبدأ في تصنيع المتفجرات مع فريق من علماء دار المشتقات.

في البداية، شعرت بغضب شديد تجاه عامر الذي ذهب دون أن يودعني، إلا أن عقلي لم يكف عن اختلاق الأعذار له. قلت في نفسي أنه ربما لم تتح له الفرصة لوداعي بعدما تسارعت الأحداث وبتنا في خضم معركتنا الحاسمة بعد الهجوم الأول الذي شنته الجيوش على الجنوب. وخلال اليومين التاليين، شنت جيوش قارادوس وسكريل عدة هجمات متفرقة بعد أن طوقت المدينة من جميع الاتجاهات، إلا أن رماة طنجار نجحوا في التصدي لجميع تلك الهجمات. لكنني كنت على يقين تام بأن عدد

الرماة القليل نسبيًا مقارنة بعدد الجيوش المحاصرة للمدينة لن يصمد طويلاً، وأن اختراق الأسوار ما هو إلا مسألة وقت، وأن أملنا الوحيد هو أن يسبقهم عامر في إنجاز مهمته قبل أن ينتهي كل شيء ويتحول حلم طنجار إلى كابوس يعصف بشعبها.

وبالفعل، أخذت الأمور منحى جديدًا حين وصلت إلينا أخبار عن فاجعة قد حدثت عند الجبهة الجنوبية صباح اليوم العاشر من الحرب، حيث أرسل قادة قارادوس وسكريل رسولًا برسالة شديدة اللهجة مساء اليوم التاسع إلى الملك أوديم، كان نصها: "إن نسيتم ما ذقناه من ذل ووحشية على يد العالم الخارجي، وتريدون أن تعيدوا الكرة مرة أخرى، فسوف نذكركم بشيء من تلك الوحشية إن لم تُعلنوا استسلامكم صباح الغد.

وقتها، لم يفهم أحد ما يدور في عقول أولئك القادة، وظن الملك أوديم أنه مجرد تهديد لبث الخوف لا أكثر. ليفاجأ الجميع صباح اليوم التالي بمشهد بشع أعادهم قرونًا إلى الخلف.

حيث أمر أولئك القادة بنصب مذبحة لإعدام ثمانية من الراصدين بعد أن تمكنوا من الوصول إليهم بين مدن قارادوس وسكريل خلال الأيام الماضية. وعلى مرأى ومسمع من الجميع، تم قتلهم بأبشع الطرق؛ منهم من تم شطره إلى نصفين، ومنهم من سلخوه حيًا، ومنهم من قطعوا أطرافه. كما اغتصبوا الإناث منهم،

لتكون تلك المذبحة صورة مصغرة ورسالة واضحة لنا جميعًا عن مصيرنا القادم إن هُزمنا في تلك الحرب.

بدت آثار تلك الفاجعة واضحة على جميع الوجوه من حولي، وبدأ الجميع في استشعار خطورة الوضع الراهن خلف السور. وبدأت التساؤلات تثار من حولي: متى سينتهي المنتظر من مهمته في الغرب؟
إلى متى سيصمد الرماة؟ وإلى متى ستصمد الأسوار؟

دون أن يمتلك أحد الإجابات على كل تلك الأسئلة.

وحده عامر كان يستطيع الإجابة عليها، عامر الذي انقطعت الأخبار عنه منذ أن ذهب إلى الغرب قبل عشرة أيام من تلك الفاجعة، وانقطعت جميع سبل التواصل بيننا. فكرت في أخذ حصاني والتوجه إلى الغرب لرؤيته خلسة من القائد، لكنني تراجعت بعد أن تيقنت أن القائد بالتأكيد سيلاحظ غيابي الذي سيستمر ليوم ونصف في أفضل الأحوال، فأثرتُ أن أنتظر. ربما يرسل عامر إليَّ رسالة مع أحد الجنود لما يمتلكه من سلطة داخل طنجار.

إلا أن هذا لم يحدث، ليزداد قلقي وترقبي يومًا تلو الآخر. ومع استمرار الحصار لأكثر من أسبوعين دون أي أخبار عن عامر،

بات الجميع من حولي غير واثقين من أن المنتظر سينجح في مهمته في الغرب، وأن مصيرنا جميعًا لن يختلف كثيرًا عن مصير الراصدين الثمانية. وبالفعل، بدأ الكابوس الذي كان يخشاه الجميع في التحقق، فمع بلوغنا اليوم الحادي والعشرين من الحصار، انقطعت الأخبار بيننا وبين خط الدفاع الأول والثاني، وتم إرسالي أنا واثنين من الجنود لاستكشاف هذا الأمر. وبعد مسيرة يوم ونصف، رأينا بأعيننا الطامة التي حلت بطنجار، كان أثر الدمار واضحًا أمامنا من بعيد، فهبطنا عن أحصنتنا واقتربنا متسللين بين الطرقات لنرى النيران المشتعلة في كل مكان، والبيوت المهدمة، وجثث لا حصر لها مُلقاة على جوانب الطريق ودماء تغطي الشوارع، أدركنا وقتها أن جيوش قارادوس وسكريل قد نجحوا في اجتياز الأسوار، وتمكنت أعداد كبيرة منهم من الانتشار في الثلث الجنوبي من المدينة وأسر أعداد كبيرة من جنود طنجار، واصلنا التسلل حتى اقتربنا من البيوت القريبة من الأسوار، لأسمع صوت أحدهم يهمس لي من داخل أحد البيوت ويقول: "أنتِ، أيتها الراصدة مارين."

فالتفتُّ من حولي أبحث عن مصدر الصوت، لأجد جنديًا يقف خلف نافذة أحد البيوت ويرتدي زي جنود طنجار، همست قائلة: "ماذا حدث؟"

فقال: "اصعدوا سريعًا قبل أن يراكم الجنود."

فدلفنا إلى البيت سريعًا دون أن نصدر صوتًا، ثم صعدنا إلى الأعلى فوجدنا الجندي في انتظارنا؛ وما أن دلفنا حتى أغلق الباب من خلفنا، ثم جلس على الأرض سريعًا، كان مصابًا بسهم في قدمه اليمنى، اقتربت منه وسألته عما حدث.

فقال بأسى: "إن هؤلاء القوم ليسوا بشرًا، إنهم لا يمتلكون ذرة رحمة."

فقلت: "ماذا حدث؟"

فأشار إلى أن أنظر عبر النافذة تجاه السور، لأرى أبشع مشهد قد تراه عيناي؛ كان جزء كبير من السور منهارًا، أما باقي السور الذي لم ينهَر، فقد كان معلَّقًا عليه آلاف من رؤوس جنود طنجار. تجمدت ملامح وجهي من هول المشهد، وتساقطت الدموع من عيني قبل أن أغلق النافذة وأسأله مجددًا عما حدث.

فقال: "كنت من الرماة المتمركزين أعلى السور. استطعنا التصدي للكثير من الهجمات على مدار تسعة عشر يومًا، إلا أننا فوجئنا صباح اليوم العشرين بأن معظم الجيوش المحتشدة حول الأسوار في الشمال والشرق والغرب قد انضمت إلى الجنوب،

وركّزت هجماتها على نقطة واحدة لصنع ثغرة في السور الأمامي.
بالإضافة إلى ذلك، أحضروا معهم تلك المرة دروعًا حديدية كبيرة يبدو أنهم صنعوها خصيصًا لتلك المهمة، كانت الأعداد كبيرة جدًا ومركزة على نقطة واحدة، مما جعل الرماة يفشلون في التصدي لهم. ومع كثرة أعدادهم، أصبح هدم جزء من السور أمرًا في غاية السهولة.

على الفور، انضم إلينا جنود خط الدفاع الثاني بأمر من الملك، ولم يستغرق الأمر أكثر من ثلاث ساعات قبل أن يضع أول جندي قدمه داخل طنجار، حاولنا التصدي لهم، لكنهم كانوا يندفعون داخل طنجار كالسيل الجارف يقتلعون أي شيء يعترض طريقهم، وخلال نصف ساعة فقط، استطاعوا القضاء على عدد كبير من جنود طنجار. ومع إدراكنا أن هزيمة هؤلاء القوم أمر شبه مستحيل، استسلم باقي الجنود، إلا أن ذلك لم يشفع لهم، فبعد أن أسَروا جنودنا، أمرهم قادتهم بتزيين السور برؤوس جنود طنجار، فقاموا بذبح أعداد كبيرة من جنود طنجار المستسلمين بدم بارد. لحسن الحظ، تلك المنطقة تم إخلاؤها من السكان قبل قيام الحرب، وأعتقد أنهم سيواصلون تقدمهم إلى قلب المدينة مع نهار اليوم التالي بعد أن ينالوا قسطًا من الراحة."

فقلت: "إذًا من المتوقع أن يصلوا خلال يومين."

فنطق جندي ممن أتوا معي قائلًا: "علينا أن نسرع لنخبر القائد بما حدث."

فسألنا الجندي المصاب إن كان المنتظر قد نجح في إنجاز مهمته.

فأجبته بالنفي.

بعدها قام الجنديان بحمله وهبطنا الدرج، ثم تسللنا عائدين إلى جيادنا وانطلقنا بأقصى سرعة في طريقنا إلى قلب طنجار، وبعد مرور يوم ونصف كنا على مشارف قلب المدينة، لينتشر الخبر سريعًا بين الأهالي وتنقلب المدينة رأسًا على عقب، وعلى الفور أمر القائد جميع الفرق الموزعة حول قلب طنجار بالتمركز جهة الجنوب والاستعداد للحرب، كما أمر بأن يحارب كل من يستطيع الحرب، رجلًا كان أو امرأة، وما هي إلا ساعات قليلة وكان الجميع في حالة من الترقب والخوف من معركة يفصلهم عنها يوم أو يومان على أقصى تقدير، معركة يعلمون مصيرها جيدًا ولكن لا مفر من خوضها بعد أن علموا بمصير الجنود الذين استسلموا في الجنوب، كان الوقت يمر ثقيلًا جدًا على قلوب الجميع بلا استثناء، مليئًا بمزيج من الصمت والشرود والخوف، أذكر أن حياتي كلها مرت من أمام عيني خلال تلك الساعات؛

تذكرت اليوم الأول لي خارج طنجار، وكذلك تذكرت أول مرة التقيت بعامر ودواليا، وتذكرت أيضًا حين أخبرني عامر أنه يحبني لأبتسم رغم كل شيء، قبل أن تزول تلك الابتسامة حين تذكرت ما أنا بصدده. فما هي إلا ساعات وأفارق تلك الحياة أنا وجميع من حولي، وعلى الأرجح عامر هو الآخر سيفعل، سينتهي كل شيء قبل أن أحظى بفرصة واحدة لأودع الشخص الوحيد الذي جعلني أبالي يومًا ما.

مرت الساعات وأنا منغمسة بين ذكرياتي شاردة، إلى أن تعالت الأصوات من حولي فانتبهت ونظرت إلى الأمام، لأرى أمامي من بعيد آلاف الجنود تندفع مسرعة باتجاهنا، تفوق أعدادهم أعدادنا بكثير جدًا، بدأ الجميع يتأهب للالتحام، فامتطيت حصاني وأخرجت سيفي وتنهدت ثم قلت: "كفانا أننا حاولنا."

عامر:

وصلت إلى القصر وطلبت من الجنديين أن ينتظراني بالأسفل، ثم صعدت سلالم القصر متجهًا إلى غرفة مارين لأخبرها بمستجدات الأمور وأودعها قبل أن أتجه إلى الغرب، ولكني لم أجدها داخل غرفتها، سألت أحد الخادمات عنها فأخبرتني أنها ذهبت للقتال مع الجيش، فأدركت أني وصلت متأخرًا، فعدت

إلى العربة لأبدأ طريقي إلى الغرب، وبعد قرابة اليوم توقفت العربة أمام مصنع عملاق لم أتوقع أن أرى مثله داخل تلك الأرض. انتظرت أمام بوابته بعد أن استأذنني الجنديان وغابا عني لدقائق قبل أن يعودا ومعهما رجل خمسيني تقدم إليّ وصافحني بحرارة ثم قال: "مرحبًا بك سيدي المنتظر، اسمي طيف وأنا كبير العاملين بالمصنع، وسأكون أنا وجميع العاملين بالمصنع رهن إشارتك وسنبذل قصارى جهدنا لتلبية أي شيء تطلبه سيدي."

فقلت: "حسنًا سيد طيف، دعنا لا نضيع وقتًا."

فقال السيد طيف: "حسنًا، هيا بنا إلى الداخل لتخبرني بالضبط ما تود فعله."

دلفنا إلى المصنع ثم أخذنا جولة سريعة بداخله لأتفاجأ من حجمه وحجم العمالة الضخمة به، ما جعلني أشعر بأنها بداية تدعو إلى شيء من التفاؤل، وبعد أن انتهينا من جولتنا ذهبنا إلى قاعة ملاصقة للمصنع، انتظرنا بها دقائق قبل أن أجد عددًا من العمال يدلفون إلينا، فنهض السيد طيف وقال بفخر: "هؤلاء هم أمهر العاملين والمصممين بالمصنع، تستطيع أن تشرح لهم ما تريد وأعدك أنك ستندهش من براعتهم سيدي."

فنهضت وقلت: "مرحبًا بكم جميعًا أيها السادة، أثق أن جميع من بالقاعة يعرف من أكون، أليس كذلك؟"

فأجابني الجميع بالإيجاب.

فقلت: "حسنًا، لنبدأ العمل."

ثم طلبت منهم شيئًا يمكنني أن أرسم عليه الأشكال التي أريدها، فأحضروا لي لوحًا خشبيًا كبيرًا وعلقوه على الحائط المقابل لهم لأبدأ في رسم أشكال متعددة من المدافع التي أريدها، كان منها الصغير الذي يستطيع الجنود حمله بسهولة والكبير المزود بعجلات للقذائف الكبيرة، ثم طلبت منهم أن يصنعوا تلك المدافع من مختلف أنواع الحديد التي يستعملونها لأرى أي من تلك الأنواع سيتحمل إطلاق القذائف دون أن تنفجر فوهته، فأخبروني أن الأمر سيستغرق من ثلاثة إلى خمسة أيام قبل أن تكون العينات جاهزة.

وبحلول اليوم الثاني لي بالغرب كان العمال قد انتهوا من بناء المختبر كما أمرهم الملك أوديم، وأيضًا وصل علماء دار المشتقات إلى الغرب، طلبت منهم أن نبدأ العمل فور وصولهم حيث كنت أعلم أن الجزء الأصعب في مهمتي يكمن في الحصول على العناصر الرئيسية لصناعة البارود أولًا ثم

الوصول إلى النسب الصحيحة لجعله أكثر تفجيرًا. وكنت أعلم جيدًا أن دراستي للكيمياء التي تخصصت في دراستها وعملت بها حين تخرجت من الجامعة ستساعدني في تحضير تلك المركبات التي سأحتاجها لصناعة القذائف، إلا أني لم أكن أعلم النسب الصحيحة لتلك العناصر لجعلها شديدة الانفجار، فكان لابد من بدء العمل سريعًا لاختبار عينات ذات تركيزات مختلفة حتى نستطيع الوصول إلى النسب الصحيحة قبل أن نبدأ في صناعة أعداد كبيرة منها.

وفي صباح اليوم الخامس وصلت إلينا كميات كبيرة من الفحم والملح الصخري، فأصبح ينقصنا فقط الكبريت الذي أكد لي علماء دار المشتقات أنهم لم يسمعوا به من قبل واعتمدوا على وصفي لخواصه فقط. فاستمروا في إجراء التجارب للوصول إليه ولكن دون جدوى.

أما على الصعيد الآخر، فلم يخلف العمال موعدهم معي، ومع نهاية اليوم الخامس كانت عينات المدافع التي طلبتها منهم جاهزة. إلا أنني لم أتمكن من اختبارها دون صناعة القذائف.

كنت أقضي معظم ساعات اليوم وأنا أعمل على طريقة تمكنني من الوصول إلى العنصر المتبقي، إلا أنني كنت أفشل في كل مرة.

أصابني شعور اليأس لأول مرة بعد أن مر أكثر من أسبوع على المحاولات الفاشلة، فذهبت لأخلد إلى النوم، إلا أن عيني أبت أن تنام تلك الليلة، فنهضت وخرجت لأتمشى حتى يهدأ هذا الشعور قليلاً، ابتعدت عن المصنع والمختبر، فسكنت الأصوات من حولي، لأشعر بهدوء أعاد إلى ذاكرتي الأيام التي كانت تعترضني فيها صعوبات، في تلك الأوقات كنت أجلس في شرفة منزلي مسندًا ظهري إلى المقعد، أنظر إلى السماء مفكرًا، وأحمل في يدي فنجانًا من القهوة. تنهدت بعد أن تذكرت أنه حتى فنجان القهوة صعب المنال على هذه الأرض، وكذلك النظر إلى السماء، كل شيء صعب داخل هذه الأرض، الناس يعيشون في الأعلى في أكثر العصور تطورًا، ونحن نعيش هنا في الأسفل حياة القرون الوسطى، مجبرين على ذلك.

صرخت قائلاً لنفسي: لماذا كل شيء صعب هنا، أما آن لهذه الأرض أن تبتسم لأبنائها؟

هل سيضيع جهدهم هباءً؟

بعد كل ما عانوه، لقد فعلوا كل شيء من أجل تحقيق حلمهم دون كلل أو ملل، هل يستحق أهل طنجار المصير السيئ الذي ينتظرهم إن فشلت؟

وماذا عن مارين؟
لقد آمنت بحلم شعبها، وكرست حياتها من أجل تحقيق هذا الحلم، وماذا عن وعدي لها بتحقيق المعجزة التي تريدها؟

وماذا عن السيد أوليم الذي أصبح منبوذًا بسببي؟
ماذا سيكون مصيره إن اقتُحمت طنجار؟

لمعت عيناي ونهضت من مكاني بعد أن تذكرت أنني رأيت السيد أوليم يستخدم الكبريت ذات مرة في تحضير إحدى وصفاته على الفور، ركضت متجهًا إلى غرفة الجنديين اللذين أرسلهما معي الملك أوديم، وطلبت منهما أن يذهبا ويحضرا السيد أوليم من القصر بأقصى سرعة ممكنة؛ كما طلبت منهما أن يحضرا شخصًا يستطيع التحدث بلغة أهل قارادوس لكي أتمكن من الحديث معه، وعلى الفور، انطلقت العربة إلى القصر نحو الأمل الأخير لشعب طنجار.

ولكسب بعض الوقت، عملت مع فريق العلماء على تحضير الملح الصخري والفحم، ليكون كل شيء جاهزًا فور وصول

السيد أوليم، وبحلول صباح اليوم الحادي عشر من الحصار، وصلتني رسالة من الملك أوديم أخبرني فيها عن فاجعة ارتكبها قادة قارادوس وسكريل، حيث قاموا بإعدام ثمانية راصدين بأبشع الطرق، وأخبرني أيضًا أنه يتوقع أن يكثفوا هجومهم خلال الأيام القليلة المقبلة، وحثني على ضرورة إنجاز المهمة في أسرع وقت، وفي النهاية؛ أخبرني أنه أرسل ثلاثة آلاف مقاتل في طريقهم إلى الغرب ليكونوا جاهزين فور أن أنهي المهمة.

اجتاح عقلي شعور بالقلق، ولم أستطع المكوث في مكاني بعد أن تأخر وصول السيد أوليم.

ظللت أتحرك أمام المختبر ذهابًا وإيابًا وأنا أنتظر وصوله بفارغ الصبر، ولم يهدأ بالي حتى رأيته يخرج من العربة أمامي.

رحبت به، ثم اصطحبته إلى المختبر، وقضيت أكثر من ثلاث ساعات وأنا أحاول أن أذكره بالوصفات التي كان يضيف إليها الكبريت، كان المترجم الذي جلبه لي الجنديان يتوسطنا ليترجم لكل منا ما يقوله الآخر، شرحت له خواص الكبريت وشكله وبعض الوصفات التي كان يخلطه بها؛ ولكن دون جدوى، إلى أن وصفت له شكل التاجر الذي كان يجلب له الكبريت بشكل منتظم كل شهر، انفجرت أساريري حين أخبرني أخيرًا أنه فهم

ما أقصده، وأنه يعلم جيدًا كيف يستخرجه من الطبيعة بطريقة غير معقدة، وعزمنا على أن نبدأ العمل صباح اليوم التالي بعد أن صار الوقت متأخرًا.

ذهبت لأخلد إلى النوم بعد أن شعرت أني أصبحت قريبًا من تحقيق ما جئت من أجله، إلا أنني تفاجأت حين استيقظت ولم أجد السيد أوليم على السرير المجاور لي، نهضت سريعًا وبحثت عنه في الخارج، فلم أجده، أخبرني أحد العمال أنه شاهده باكرًا يستقل العربة مع الجنديين، فسألته إن كان يعلم وجهته، فأجابني بالنفي.

مرت ساعة كاملة وأنا أقف أمام المختبر أنتظر عودته، قبل أن ألمح العربة تقترب من بعيد. فتقدمت مسرعًا نحوها ليخرج السيد أوليم حاملًا في يده خمسة أوعية صغيرة، أخبرني المترجم بعدها أن تلك الأوعية ما هي إلا عينات من بعض الصخور التي جمعها السيد أوليم من أماكن مختلفة، ثم قام بسحقها داخل المختبر وأضاف بعض المواد عليها وتركها تغلي لعدة ساعات، بعدها؛ عدنا إلى المختبر لاختيار العينة التي تحتوي على أكبر تركيز.

بعدها أخبرني بالمكان الذي أتى منه بتلك العينة، وعلى الفور أرسلت السيد أوليم مع عدد كبير من العمال وبعض العلماء

لاستخراج كميات كبيرة من تلك الصخور وجلبها إلى المختبر لاستخلاص الكبريت منها، ومنذ ذلك الحين بدأ العمل في الغرب على قدم وساق، كان الجميع يعمل بجد لدرجة أننا كنا في بعض الأحيان نعمل لأكثر من عشرين ساعة في اليوم.

وجاء نهار اليوم السابع عشر حاملًا معه أول بارقة أمل بعد أن تمكنا من صناعة أول نوع من القذائف، لم يكن انفجارها شديدًا؛ ولكنه كان جيدًا كبداية. وخلال اليومين التاليين، قمنا باختبار الكثير من القذائف ذات التركيزات المختلفة حتى دوى صوت انفجار قوي هز منطقة الغرب بأكملها مع نهاية اليوم التاسع عشر من الحصار، ارتفعت صيحات الجميع وبدأوا يهللون فرحين إثر سماع هذا الانفجار، وبدأوا يهنئون بعضهم البعض. فوجدت السيد أوليم يربت على كتفي مبتسمًا، كانت حقًا أكثر لحظاتنا سعادة بعد كل هذا العناء؛ تمنيت لو أن مارين كانت تقف بجواري لترى بعينيها هذا المشهد الرائع.

ومع صباح اليوم العشرين من الحصار، قمنا باختبار القذائف على عينات المدافع الصغيرة والكبيرة، ثم قمنا باستبعاد أنواع الحديد المستخدمة في صناعة المدافع التي انفجرت فوهاتها، وأبقينا على الحديد المستخدم في صناعة المدافع الأخرى التي لم تنفجر فوهاتها.

وعلى الفور، أمر السيد طيف العمال بإنتاج أعداد كبيرة من تلك المدافع، وخلال أسبوع واحد كانت الفرقة التي أرسلها الملك أوديم قد أصبحت مدربة على استخدام تلك المدافع بشكل جيد؛ كما قام العلماء بإنتاج أعداد كبيرة من المقذوفات ليصبح كل شيء جاهزًا بحلول نهار اليوم السابع والعشرين لنبدأ تحركنا إلى الجنوب لخوض معركة البقاء.

مارين

كانت الجنود تندفع مسرعة باتجاهنا، حيث تفوق أعدادهم أعدادنا بكثير، بدأ الجميع يتأهب للالتحام، فامتطيت حصاني وأخرجت سيفي وتنهدت ثم قلت: "كفانا أننا حاولنا."

اندفع جيشنا هو الآخر نحو جيوشهم، إلا أنه وعلى بعد أمتار قليلة قبل أن تلتحم الجيوش، دوى صوت انفجارات عظيمة أرعبت كل من سمعها، إثر سيل من القذائف التي اندفعت بغزارة من خلفنا، لتعبر من فوقنا ثم سقطت على تجمعات جنودهم، فتطايرت أشلاؤهم في كل مكان. نظرنا جميعًا إلى الخلف في اتجاه مصدر تلك القذائف، ليتبدل شعور الخوف إلى فرحة عارمة جعلت جميع أهل طنجار يصرخون مهللين فرحًا بعدما رأينا جماعة كبيرة من جنود طنجار هم من يطلقون تلك القذائف، بحثت بعيني عن عامر بين تلك الجنود حتى وجدته في المقدمة، كان يوجه الجنود الذين يطلقون المدافع الكبيرة ذات العجلات، كما أمر مجموعة من الجنود بالتقدم إلى الأمام بعد أن تراجعت أنا وجميع من كانوا معي.

ركضت تلك المجموعة إلى الأمام، وعند مسافة معينة من جنود الأعداء، قاموا جميعًا بإخراج أنابيب أسطوانية متوسطة الحجم ووضعوها على الأرض بزاوية معينة، ثم أسقطوا في فوهات

تلك الأنابيب قذائف كانوا يحملون العديد منها، انطلقت تلك القذائف عاليًا، ثم سقطت محدثة انفجارات قتلت أعدادًا كبيرة من جنود قارادوس وسكريل الذين كانوا يركضون مرتعبين، تتخبط أجسادهم ببعضها من هول ما صُدموا به، انطلقت بحصاني نحو عامر الذي رآني من بعيد، فابتسم ولمعت عيناه وهو يتقدم نحوي، قفزت من فوق حصاني واحتضنته بقوة، ثم قلت: "لقد حدثت المعجزة يا عامر."

فقال مبتسمًا: "ألم أعدك بذلك؟"

فقلت: "أحبك يا عامر."

لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يعلن جميع جنود قارادوس وسكريل استسلامهم بعد أن تيقنوا تمامًا من أنهم لن يستطيعوا التغلب على أسلحتنا الجديدة، وتم أسر قادتهم الطغاة؛ لينتهي هذا الكابوس الذي عاشه أهل طنجار لمدة زادت عن الشهر.

كانت الأيام التي تلت تلك المعركة هي الأسعد في حياتي وحياة جميع سكان طنجار، فبمجرد هزيمة قارادوس وسكريل لم يعد هناك أي عوائق أمام طنجار في بلوغ حلمها. واستمرت الاحتفالات داخل طنجار لأكثر من عشرة أيام، بعدها قام الملك أوديم بزيارة مدن قارادوس وسكريل بعد أن أصبحت تحت

حكمه؛ كما أخبر سكان تلك المدن بأنه لن يجبرهم على الخروج إلى الأعلى إلا إذا أرادوا هم ذلك.

بعدها حذر عامر الملك أوديم من خروج تلك الأعداد الكبيرة دفعة واحدة، كما أخبره بأنه ينبغي توخي الحذر في كيفية الظهور إلى العالم الخارجي، وأن الطريقة الأمثل هي فتح البوابات الفاصلة بينهم وبين العالم الخارجي تدريجيًا، ثم اتفقا على أن يعود عامر إلى عالمه ليأتي بالمختصين لاكتشاف المدينة بأكملها وليعلم الجميع في الأعلى بوجود مدينة في الأسفل يعيش بها آلاف البشر.

مدينة أخفتها تضاريس الجبال، فأصبحت الشمس تصل إلى أطرافها العلوية لمدة لا تزيد عن ساعتين في اليوم.

مدينة عانت كثيرًا من الظلم والظلام.

مدينة كافح أهلها طوال قرون فقط ليصبحوا جزءًا من هذا العالم، وليحققوا حلمهم، حلم طنجار، مدينة الظلام.

لم أكن أتوقع أن أستطيع العودة إلى موطني يومًا ما؛ ولكنني بالفعل بدأت طريقي الآن إلى الخارج بعد أن عاهدت الملك أوديم بأني سأعود مجددًا، وها أنا الآن على ظهر جملي ومن خلفي مارين التي طلبت من الملك أوديم أن يسمح لها بالمغادرة معي، بعد أن صار الجميع يعلم بقصة حبنا التي ظلت تتناقل بين السكان خلال الأيام الماضية، خرجت من البوابة التي عبرتها منذ أكثر من عام، وبدأت أفكر في كل ما حدث في الأسفل داخل تلك الأرض، التي تعلمت فيها أنه يجب دومًا أن يكون المرء جاهزًا.

...تمت بحمد الله...